يوم الأربعين

دراسة تحليلية للمرويات التاريخية

أ. م. د. وفاء عباس فياض

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

الملخص

يعتمد البحث على رؤية تحليلية لتسليط الضوء على طائفة من المرويات التاريخية المتعلقة بيوم الأربعين وشخوصه، وما اقترن به من أحداث سابقة أو تالية لبداية الركب الحسيني الأسير بأيدي طغاة ذلك العصر وجبابرته، مما جرى ذكرها في المصادر القديمة، وموقف بعض المعاصرين منها. وحرصت أن يكون تحليلي مرتكزاً على إبراز خصوصية الألفاظ التي وردت في تلك المرويات ومن ثم المحاكمة الموضوعية للطبيعة الحكائية التي جرى تأطير الحوادث فيها، بما ينسجم مع رؤية عقلية ومنطقية متقبلة.

الأمر الذي خلصنا فيه الى الوقوف على مدى استهانة كُتّاب حوادث عاشوراء وما تلاه من أحداث ومن تابعهم، وعدم إعطائه حقه والنيل من شخوصه الكرام وإظهارهم بمزايا وصفات هم بعيدون عنها كل البعد.

والبحث مقسَّم على عدة محاور هي على النحو الآتي:

المحور الأول: قراءة في الحوادث التي سبقت يوم الأربعين.

المحور الثاني: قراءة في روايات طرق مسير الأسارى قبل يوم الأربعين.

المحور الثالث: قراءة في روايات يوم الأربعين (بين المؤيدين والمنكرين) والردّ عليهم.

وقبل كل ذلك ستكون هنالك مقدمة وتعقب هذه المحاور خاتمة توضح نتائج البحث يتلوها ثبت للمظان.

Arbaeen Day - An Analytical Study of Historic Narrations

Prof. Wafaa Abbas Fayyadh

Faculty of Islamic Sciences / Karbala University

Abstract

The research relies on an analytical vision to shed light on a range of historical narratives related to the fortieth day and its figures, and the events that preceded or followed the beginning of the conquest of Husseini by the hands of the tyrants of that era and Jabbertha, which were mentioned in ancient sources and the position of some of them. And was keen to be analytical based on highlighting the specificity of the words that appeared in those Almrooyat and then the substantive trial of the nature of the court in which the incidents were framed, in line with the vision of mental and logical accepted.

Which led us to find out how insulting the book of Ashura events and the subsequent events and those who follow them, and not to give him the right and to deprive him of his valuable figures and to show them the advantages and qualities they are far from it all.

The research is divided into several axes, as follows:

The first axis: reading in the events that preceded the fortieth day.

The second axis: reading in the accounts of the paths of the prisoners before the fortieth day.

The third axis: reading in the novels of the forty (between supporters and deniers) and respond to them.

Above all, there will be an introduction and tracking of these axes.

المقدمة:

الحمد لله على نعمائه التي لا تحصى، وآلائه التي لا تعد، وصلواته وسلامه على رسوله الأعظم محمد وعلى أهل بيته الطيبين الأطهار.

أما بعد فلم يحظَ حدث جرى في تاريخ الأمة الإسلامية من الاهتمام ولم يكتب فيه بقدر ما كتب عن حدث عاشوراء ويوم استشهاد الإمام الحسين بن علي عليه السلام وأهله بيته عليهم السلام وصحابته الأوفياء (رضوان الله تعالى عليهم) وما أعقبه من مآس وآلام وهتك لحرمة النبي محمد صلى الله عليه وآله جرت على أهل بيته الكرام عليهم السلام، تلك المآسي التي يندى لها جبين الإنسانية، ويقف الضمير مذهولا واللسان حائراً ماذا يسطر عنها؟ إنها مصيبة اهتز لها العرش وأبكت ملائكة السماء قبل أهل الأرض، وكما قال الإمام زين العابدين عليه السلام في خطبة له بعد رجوعهم إلى المدينة: ((فلقد بكت السبع الشداد لقتله وبكت البحار بأمواجها والسماوات بأركانها والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها والحيتان ولجج البحار والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون))[1].

لقد قدّم هذا القائد العظيم الإمام الحسين عليه السلام كلَّ ما عنده وأعزَّ ما يملك وضحى بروحه وماله وولده وأصحابه وأهله ونسائه من أجل قضيته وهدفه الأسمى الذي ما زال قضية وهدف كل إنسان حرّ يرفض الظلم والاستعباد والصنمية والذل والمهانة ويطلب الكرامة بكل صورها، إنه صراع الحق وإن عزّ مع الباطل وإن توسع وكثر.

ومن هنا جاءت فكرة دراسة يوم الأربعين للإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وما سبقه من أحداث جرت على أهل بيته الكرام عليهم السلام في ضوء بعض النصوص التاريخية المروية من المصادر القديمة والمصادر الحديثة للعلماء المتقدمين والمعاصرين بوصفه حلقة الوصل ما بين العاشر من المحرم وما جرى من بعده من أحداث.

وحرصت أن يكون تحليلي مرتكزاً على إبراز خصوصية الألفاظ التي وردت في تلك المرويات ومن ثم المحاكمة الموضوعية للطبيعة الحكائية التي جرى تأطير الحوادث فيها، بما ينسجم مع رؤية عقلية ومنطقية متقبلة للوقوف على مدى استهانة كُتّاب حوادث عاشوراء وما تلاه من أحداث ومَنْ تابعهم، وعدم إعطائه حقه وذلك للنيل من شخوصه الكرام وإظهارهم بمزايا وصفات هم بعيدون عنها كل البعد، وسيكون البحث مقسماً على عدة محاور تكون على النحو الآتي:

المحور الأول: قراءة في بعض الحوادث التي سبقت يوم الأربعين.

المحور الثاني: قراءة في روايات طرق مسير الأسارى قبل يوم الأربعين.

المحور الثالث: قراءة في روايات يوم الأربعين (بين المؤيدين والمنكرين)، والردّ عليهما.

وقبل ذلك ستكون هنالك مقدمة وتعقب هذه المحاور خاتمة توضح نتائج البحث يتلوها ثبت للمظان.

المحور الأول:

قراءة في بعض روايات الحوادث التي سبقت يوم الأربعين

مما لا شك فيه أنّ يوم كربلاء أو يوم الطف لا يقتصر فقط على اليوم العاشر من المحرم من (سنة ٦١هـ)، بل يمتد إلى ما قبل هذا التاريخ بسنوات يوم بدأ الإمام الحسين عليه السلام بتخطيطه الاستراتيجي وتكتيكه الواعي الكبير للوصول إلى ملحمته الاصلاحية والفكرية والثورية لتغيير مقاليد الحكم الأموي[٢] بعد إعلان اهدافه عنها بقوله: ((**إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي، محمد (صلى الله عليه [وآله] وسلم)، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي محمد (صلى الله عليه [وآله] وسلم)، وأبي علي بن أبي طالب. فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق. ومن ردَّ عليَّ هذا، أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم الظالمين**))[٣].

فالحسين عليه السلام لم يكن وليد اللحظة الآنية والحاضرة التي عاشها، وإنما كان تفكيره كإمام معصوم وقائد محنك نتيجة تراكمات من الأحداث الخطيرة والصراعات المستمرة والمريرة التي شاهدها وعايشها ابتداءً منذ طفولته وحتى خروجه من هذه الدنيا. وما يقال عن الحسين عليه السلام يقال عن العقيلة زينب عليها السلام التي شاطرته الأحداث بكل تفاصيلها فكانت على درجة عالية من الوعي والإدراك والمسؤولية في تحمل زمام الأمور من بعده. وكيف لا تكون كذلك وهي التي عاصرت الأحداث التاريخية الخطيرة والمهمة في تاريخ الأمة الإسلامية على مدار أكثر من خمسين عاماً فضلاً عن أنها رأت ما جرى على الحسين وآله منذ مسيره وحتى استشهاده عليه السلام إذ رأت ما رآه الحسين عليه السلام وزيادة.

ويستمر تاريخ هذه الملحمة الكبرى إلى ما بعد هذا اليوم بإكمال المسيرة الاصلاحية وبيان الأهداف التي رسم معالمها سيد الشهداء عليه السلام التي قدّر لها أن تقع على عاتق من بقي من أهل بيته الكرام عليهم السلام. ولابد لهذا المسير من أن تقع فيه أحداث جمة ومواقف عديدة ولكنها لم تصل إلينا أو أنها غيّبت عن دائرة التاريخ لخطورتها من جهة ولأهميتها من جهة أخرى، لأننا نرى أن هذا الحدث التاريخي كان يجب أن لا ينقله إلا من رأى هذا الحدث بتفاصيله وهم الإمام الحسين عليه السلام والإمام زين العابدين عليه السلام والعقيلة زينب عليها السلام أما الإمام الحسين عليه السلام فاستشهد (صلوات الله عليه وسلامه) والإمام السجاد عليه السلام قد انهكته العلة والمرض كما يقولون، والعقيلة زينب عليها السلام في الخيمة كما يدَّعون أيضاً. هذا فيما يتعلق بالحوادث التي جرت في المعركة، أما ما وصل إلينا من أخبار وحوادث ما بعد المعركة فالذي جاء كله أو أقلُّه نقلاً عن العدو أو لربما عن شخصيات صنعها التنظير العباسي وهي مشكوك في أمرها؟؟!!، وهو أمر سيظهر واضحاً في صفحات البحث، وما جاء عن من بقي من أهل البيت عليهم السلام النزر القليل الذي لا يشفي الغليل وحتى هذا القليل لربما دسوا فيه كثيراً من الأكاذيب ليوافق أهواءهم وليس عظمة هذه الحادثة التاريخية. وسنأتي إلى ثلاث روايات مختلفة عن أمهات الكتب التاريخية المعتبرة في سرد هذه الواقعة التاريخية والكتب هي:

١. مقتل أبي مخنف: للطبري (ت٢٠٤هـ أو ٢٠٦هـ).
٢. كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ).
٣. تاريخ الأمم والملوك: الطبري (ت ٣٣١هـ).
٤. الثقات: ابن حبّان (ت٣٥٤هـ).
٥. الكامل في التاريخ: ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ).
٦. مثير الأحزان ومنير سبيل الأشجان: ابن نما الحلي (ت ٦٤٥هـ).
٧. اللهوف على قتلى الطفوف: السيد علي بن موسى بن طاووس الحلي (ت ٦٦٤ هـ).
٨. الملهوف على قتلى الطفوف: علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ).

فأول ما يطالعنا من تلك الحوادث التي تروى بعد استشهاد الإمام الحسين‌عليه‌السلام، هي تلك الرواية التي تتضمن إرسال رأس الإمام الحسين‌عليه‌السلام إلى ابن زياد إذ رويت برواية أبي مخنف: ((قال ثم إن عبيد الله أمر بنساء الحسين وصبيانه فجهزن، وأمر بعلي بن الحسين فغل بغل إلى عنقه، ثم سرَّح بهم مع محفز بن ثعلبة العائذي عائذة قريش، ومع شمر بن ذي الجوشن فانطلقا بهم حتى قدموا على يزيد، فلم يكن علي بن الحسين يكلم أحداً منهما في الطريق كلمة حتى بلغوا. فلما انتهوا إلى باب يزيد رفع محفز بن ثعلبة صوته فقال: هذا محفز بن ثعلبة، أتى أمير المؤمنين باللئام الفجرة، قال: فأجابه يزيد بن معاوية: ما ولدت أم محفز شراً وألأَم))[٤].

وفي موضع آخر من الكتاب يقول: ((**فجاء البريد ولم يسمع التكبير وجاء كتاب بأن سرح الأسارى إلى، قال فدعا عبيد الله بن زياد محفز بن ثعلبة، وشمر بن ذي الجوشن فقال انطلقوا بالثقل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، قال:فخرجوا حتى قدموا على يزيد، فقام محفز بن ثعلبة فنادى بأعلى صوته جئنا برأس أحمق الناس وألأمهم، فقال يزيد: ما ولدت أم محفز ألاأ وأحمق ولكنه قاطع ظالم**))[٥].

في حين جاءت رواية ابن حبّان (ت٣٥٤هـ) باختلاف بعض الألفاظ إذ يقول: ((ثم أنفذ عبيد الله بن زياد رأس الحسين بن علي إلى الشام مع أسارى النساء والصبيان من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) إلى الشام))[٦]، ولكن بعض الباحثين المعاصرين ذكر أن ابن حبّان كتب حول هذا الأمر فقال: ((ثمّ سرّح عبيد الله بن زياد رأس الحسين بن عليّ‌عليه‌السلام مع النساء والأطفال الأسرى من آل رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله إلى الشام))[٧].

والرواية الأخرى جاءت عن ابن نما الحلي(ت ٦٤٥هـ) في قوله: ((**ثم سرح رأس الحسين مع خولي بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد وأمر برؤوس الباقين من أصحابه فنظفت وكانت اثنين وسبعين رأساً وسرَّح بها مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج**))[٨].

الذي نلمحه في هذه النصوص التاريخية وإن تباينت ألفاظها واختلفت أنها تتحدث عن مضمون واحد وهو تسيير قافلة من بقي من عائلة الحسين‌عليه‌السلام مع رأسه الشريف بعد شهادته، ولكن استعمال لفظة (سرح) غير مشددة كما أراها غير مهذبة وغير لائقة

لا من الناحية اللغوية ولا من الناحية الأدبية، فمن الجانب اللغوي تدل اللفظة في استعمال الماشية وما أشبهها يقول ابن منظور:((تَقُولُ: أَرَحْتُ الماشيةَ وأَنْفَشْتُها وأَسَمْتُها وأَهْمَلْتُها وسَرَحْتُها سَرْحاً، هَذِهِ وَحْدَهَا بِلَا أَلف. وَقَالَ أَبو الْهَيْثَمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل٦)؛ قَالَ: يُقَالُ سَرَحْتُ الماشيةَ أَي أَخرجتها بالغَداةِ إِلَى الْمَرْعَى... يُقَالُ: سَرَحَتْ بِالْغَدَاةِ وراحتْ بالعَشِيِّ، والسارحُ: يَكُونُ اسْمًا لِلرَّاعِي الَّذِي يَسْرَحُ الإِبل، وَيَكُونُ اسْمًا لِلْقَوْمِ الَّذِينَ لَهُمُ السَّرْحُ كالحاضِرِ والسَّامِرِ وَهُمَا جميعٌ))[٩].

وكما هو معلوم فإن الآية المباركة جاءت في سياق الحديث عن الإبل والأنعام قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ* وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل٥-٦)، وقال الفراء(ت٢٠٧هـ) في دلالة تريحون وتسرحون: ((**حِينَ تُرِيحُونَ: أي حين تريحونَ إبلكم: تردّونَها بين الرعي ومباركها يُقالُ لها المُرَاح. والسروح بالغداة (قَالَ الفرّاء): إذا سعت للرعي**))[١٠].

ويقول ابن منظور أيضا: ((والتسريحُ: إرسالك رَسُولًا في حاجة سَراحاً. وسَرَّحْتُ فُلَانًا إِلى مَوْضِعِ كَذَا إِذا أَرْسلته. وتَسْرِيحُ المرأَة: تطليقُها... وَسَمَّى اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، الطَّلَاقَ سَراحاً، فَقَالَ: وَسَرِّحُوهُنَّ سَراحاً جَمِيلًا؛ كَمَا سَمَّاهُ طَلَاقًا مِنْ طَلَّقَ المرأَة، وَسَمَّاهُ الفِرَاقَ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَلفاظ تَجْمَعُ صَرِيحَ الطَّلَاقِ الَّذِي لَا يُدَيَّنُ فِيهَا الْمُطَلِّقُ بِهَا إِذا أَنكر أَن يَكُونَ عَنَى بِهَا طَلَاقًا،... وَخَيْلٌ سُرُحٌ وناقةٌ سُرُحٌ ومُنْسَرِحة فِي سَيْرِهَا أَي سَرِيعَةٌ؛ قَالَ الأَعشى:

بِجُلالةٍ سُرُحٍ، كأَنَّ بغَرْزِها... هِرّاً، إِذا انتَعَل المَطِيُّ ظِلالَها... ومِشْيَةٌ سُرُحُ مِثْلُ سُجُح أَي سَهْلَةٌ))[١١].

أما ما جاء في رواية ابن أعثم الكوفي(ت٣١٤هـ) فقد استعمل لفظة (أرسل) بدلا من (سرّح) وذلك في قوله: ((وأرسل عمر بن سعد بالرأس إلى عبيد الله بن زياد فجاءه الرجل بالرأس واسمه بشر بن مالك...))[١٢] في حين نص ابن الأثير(ت٦٣٠هـ) على أنه ((لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ أُرْسِلَ رَأْسُهُ ورؤوس أَصْحَابِهِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ مَعَ خَوَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ وَحُمَيْدِ بْنِ مُسْلِمٍ الْأَزْدِيِّ))[١٣].

مما تقدم يكون التسريح وهو مصدر لفعل سرّح يعني إرسال رسول في حاجة أو إرساله إلى موضع معين، وأن عدم التشديد (سرح) مصدره سراحاً وهو خاص بالأنعام والماشية، فعلى هذا يتبين لنا أن الفرق واضح بين استعمال لفظتي (سرح) أو (سَرَّح) ومصدرهما فالسرح للماشية والغنم والإبل وهو ما رسمه القرآن الكريم لنا وقعَّدته لغة العرب، أما الفعل (سرّح) فهي لإرسال الرسول في حاجة وهو حي وليس ميتاً وكذلك إرساله إلى موضع معين وليس إرسال عائلة أو أسارى، وعليه سيكون السراح للماشية والغنم والتسيير والإرسال للقافلة والبشر، ولذا نعد هذا المورد من الأخطاء اللغوية التي لا تغتفر لدى كتّاب التاريخ، فهل هذا من باب الجهل باللغة من أبي مخنف وغيره الذين نقلوا هذه الروايات من غير تمعن وتمييز في ألفاظها ودلالاتها؟!، أو هو من باب الإساءة المتعمدة لمقام أهل البيت عليهم السلام وهو ما أراده التنظير العباسي في رواية هذه الحادثة.

أما الرواية الثانية المخدشة للحياء والمسيئة لبنات الرسالة عموماً ما جاء في بعض المصادر التاريخية في موضوع رحيل عيال الحسين(عليه السلام) إلى الكوفة إذ يقول أبو مخنف: ((وأقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد، ثم أمر حميد بن بكير الأحمري، فأذن في الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان وعلي بن الحسين مريض. قال أبو مخنف: فحدَّثني أبو زهير العبسي عن قرة بن قيس التميمي قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررت بحسين وأهله وولده صحن ولطمن وجوههن، قال: فاعترضتهن على فرس فما رأيت منظراً من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيته منهن ذلك، والله لَهُنَّ أحسن من مهى يبرين قال فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحسين صريعاً وهي تقول: يا محمداه، يا محمداه، صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعرا، مرمَّل بالدماء، مقطع الاعضاء، يا محمداه وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا قال: فأبكت والله كل عدو وصديق))[١٤].

فقوله (أحسنُ منهن) و(لَهُنَّ أحسن من مهى [مها] يبرين) يوحي بسفالة ووضاعة هذا الراوي وهو (قرة بن قيس التميمي) الذي ينظر إلى نسوة فقدن أحبتهن وأولادهن وإخوانهن وهو يستمتع بهذا المنظر ويتغزل بهن. وهل المورد وقت إعجاب وغزل؟؟! ألم يرَ هذا الراوي نسوة من قبل حتى يتعجب لحسنهن ويصفهن بأنهن أحسن من الغزال التي تبرز أو تظهر للعيان؟؟! فضلاً عن ذلك كيف يذكر ابن نما الحلي عن أبي مخنف هذه الرواية ولا يعلّق ولو بكلمة واحدة ولا يقف موقف الرافض لها؟؟! وهو متأخر عن أبي مخنف أم أنه يتعبد كلامه؟

وبحسب التسلسل في الأحداث نقف على الحادثة الثالثة التي نلمح فيها إهانة وإساءة واضحتين إلى شخص العقيلة زينب بنت علي(عليهما السلام) وهو ما كتبه أهل التاريخ ونحن نحتكم إليهم بلغتهم التي كانوا يتكلمون بها، من ذلك ما ذكره الطبري في تاريخه عن أبي مخنف قوله: ((قال: فلما دخل برأس حسين وصبيانه وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد لبست زينب ابنة فاطمة أرذل ثيابها، وتنكرت وحفَّ بها اماؤها.فلما دخلت جلست، فقال عبيد الله بن زياد: من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه، فقال ذلك ثلاثاً كل ذلك لا تكلمه، فقال بعض امائها: هذه زينب ابنة فاطمة...))[١٥] والرواية عن حميد بن مسلم.

وما ذكره ابن الأثير(ت٦٣٠هـ) أيضاً: ((فَلَمَّا أَدْخَلُوهُمْ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ لَبِسَتْ زَيْنَبُ أَرْذَلَ ثِيَابِهَا وَتَنَكَّرَتْ وَحُفَّتْ بِهَا إِمَاؤُهَا، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: مَنْ هَذِهِ الْجَالِسَةُ؟ فَلَمْ تُكَلِّمْهُ، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثًا وَهِيَ لَا تُكَلِّمُهُ، فَقَالَ بَعْضُ إِمَائِهَا: هَذِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ فَاطِمَةَ))[١٦] والرواية أيضاً عن حميد بن مسلم.

وفي رواية ابن نما الحلي (ت٦٤٥هـ) يقول:((قال حميد بن مسلم لما أدخل رهط الحسين(عليه السلام) على عبيد الله بن زياد لعنهما الله أذن للناس إذناً عاماً وجيء بالرأس فوضع بين يديه وكانت زينب بنت علي(عليهما السلام) قد لبست أردأ ثيابها وهي متنكرة فسأل عبيد الله عنها ثلاث مرات وهي لا تتكلم قيل له إنها زينب بنت علي بن أبي طالب فأقبل عليها))[١٧].

فالمتأمل في هذه الروايات ستثار لديه عدة اشكالات منها إشكالات في الرواية نفسها وراويها وإشكالات لغوية وأخرى في العقيدة وأخرى في القيم وغيرها وسنوردها على النحو الآتي:

الإشكال الأول الذي يثار هو أن راوي الرواية الأولى لم يعلم عنه ولربما هو الراوي نفسه في الرواية الثانية، وفي الثانية هو حميد بن مسلم ومن الغريب أن يجعله الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ) من رجاله وعدَّه من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام بقوله: ((حميد بن مسلم الكوفي من أصحاب أبي محمد علي بن الحسين وقيل كنيته أبو الحسن وقيل أبو بكر علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ومن روى عنه))[١٨] وفي موضع آخر ذكره في باب الهمزة بقوله: ((عبد الحميد بن مسلم الأزدي الكوفي))[١٩] في حين لم يتطرق إلى ذكره ولم يجعله من رجاله كلٌ من الكشي (ت حدود٣٥٠هـ) وكذلك النجاشي(ت٤٥٠هـ) وهما أقدم من الطوسي في الزمن التاريخي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى السؤال الذي يرد في هذا المورد كيف يكون من أصحاب الإمام زين العابدين ويبقى متفرجاً على أهل بيته لا يدافع عنهم لا بكلمة ولا بموقف؟؟ والإمام الحسين يقول:((فو الذي نفس الحسين بيده لا يسمع اليوم واعيتنا أحد فلا يعيننا إلا أكبّه الله لوجهه في جهنم))[٢٠].

وتأكيداً لما نقول نذكر ما رواه الطبري عن أبي مخنف: ((قال أبو مخنف: حدَّثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال دعاني عمر بن سعد فسرَّحني إلى أهله لأبشرهم بفتح الله عليه وبعافيته فأقبلتُ حتى أتيت أهله فأعلمتهم ذلك ثم أقبلت حتى أدخل فأجد ابن زياد قد جلس للناس وأجد الوفد قد قدموا عليه فأدخلهم وأذن للناس فدخلت فيمن دخل فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه وإذا هو ينكت بقضيب بين ثنيته ساعة فلما رآه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب قال له أعل بهذا القضيب عن هاتين الشفتين فو الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله (صلى الله عليه[وآله] وسلم) على هاتين الشفتين يقبلهما ثم انفضخ الشيخ يبكي....))[٢١] وما هو مذكور في الرواية غنيٌ عن أن يقال أن هذا الرجل كان من الأعداء ومن المنفذين لأوامرهم فكيف يتفق والقول بأنه من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام؟؟!.

وفي موضع آخر من الكتاب نفسه ينقل أبو مخنف رواية يقول فيها: ((حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال: انتهيت إلى علي بن الحسين بن علي الاصغر وهو منبسط على فراش له وهو مريض، واذا شمر بن ذي الجوشن في رجالة معه يقولون: ألا نقتل هذا.قال: فقلت: سبحان الله أنقتل الصبيان إنما هذا صبي؟ قال: فما زال ذلك دأبي أدفع عنه كل من جاء حتى جاء عمر بن سعد فقال: ألا لا يدخلن بيت هؤلاء النسوة أحد، ولا يعرضن لهذا الغلام المريض، ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليردّه عليهم، قال: فوالله ما ردَّ أحُد شيئاً قال: فقال علي بن الحسين: جزيت من رجل خيراً فوالله لقد دفع الله عني بمقالتك شراً))[٢٢] فنحن نجد في الكتاب الواحد بل في الصفحات القليلة المتتبعة للحدث من التناقضات التي لا تعد، والوضع في الروايات واضح وعدم الدقة والضبط للأحداث وشخوصها

غير دقيق أيضاً فمرة يكون حميد بن مسلم بحسب روايات أبي مخنف من المنفذين لأوامر قيادته ومرة يبقى متفرجاً على أهل بيت الحسين عليه السلام، ومرة يدافع عن الإمام السجاد عليه السلام ويجزيه الإمام خيراً؟؟! فَلِمَ كل هذه التناقضات في الأحداث والراوي واحد؟

وتصديقاً لما ذهبنا إليه فقد شكك بعضهم شكّاً قويّاً ((في الدور الايجابي الذي صوَّره حميد بن مسلم لنفسه في الذود عن حياة الإمام زين العابدين عليه السلام وفي صرف شمر بن ذي الجوشن عن قتله. بل يمتدّ شكّنا إلى جميع الأدوار الايجابيّة الأخرى التي رسمها حُميد بن مسلم لنفسه. على ما ورد في روايات ابن جرير الطبري في تاريخه، وفي تواريخ الذين أخذوا عنه بلا تدبّر! ذلك لأنّ حميد بن مسلم الأزدي هذا كان منتمياً انتماءً صريحاً إلى معسكر عمر بن سعد يوم عاشوراء! ويتضح من مجموع رواياته أنّه كان وجيهاً من وجهاء هذا المعسكر معروفاً عند قادته وقريباً منهم! ويكفي في الدلالة على هذا أنّه وخولّي بن يزيد الأصبحي حملا رأس الإمام عليه السلام إلى ابن زياد بتكليف من عمر بن سعد! ثمّ إنّ جميع الأدوار الايجابيّة - إذا صحّ هذا الإطلاق - التي ظاهرها أنه تأثر لأهل البيت عليهم السلام أو دفع عنهم شرّاً، إنّما رويت من طريقه هو وهذا ما يدعو على الأقلّ إلى التحفظّ عن تصديقها، وإلى التأمّل فيها))[٢٣] وبذلك أرادوا أن يصرفوا النظر عن الموقف البطولي الذي قامت به العقيلة زينب عليها السلام عمته في حماية علي بن الحسين عليه السلام والدفاع عنه مرات عديدة وآثرت القتل لنفسها على نفسه أو القتل معه على الأقل.

أما ما روي عن خزيمة الأسدي في كتاب الفتوح لابن أعثم (ت٣١٤هـ) فلم يذكر هذه العبارة وإنما أكتفى بالقول: ((ثم أتى القوم حتى أدخلوا على عبيد الله بن زياد ونظرت إليه زينب بنت علي (رضي الله عنه) فجلست ناحية، فقال ابن زياد: من الجالسة؟ فلم تكلّمه، فقال الثانية: من الجالسة؟ فلم تكلّمه، فقال رجل من أصحابه: هذه زينب بنت علي (رضي الله عنه)...))[٢٤] فالناظر في النص يتبين له أن السيدة زينب عليها السلام كانت غير مقنّعة وغير متنكرة وقبل قليل من الصفحات ((قال الراوي فأشرفت امرأة من الكوفيات فقالت: من أي الأسارى أنتن فقلن نحن أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله فنزلت المرأة من سطحها فجمعت لهن ملاءً وأزراً ومقانع وأعطتهن فتغطين))[٢٥].

الإشكال الثاني: لماذا التركيز والاصرار من الراوي على هذه العبارة تحديداً؟ وإهماله ذكر العلة وبيان السبب في ذلك؟! وهو أقرب إلى الحدث منا كما يزعم !!

الإشكال الثالث: ما ورد في المعجمات اللغوية من توضيح دلالة (أرذل) أو (أرداً) إذ يقول ابن منظور: ((رذل: الرَّذْل والرَّذِيل والأَرذَل: الدُّون مِنَ النَّاسِ، وَقِيلَ: الدُّون فِي مَنْظَره وَحَالَاتِهِ، وَقِيلَ: هُوَ الدُّون الخَسيس، وَقِيلَ: هُوَ الرَّديء مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَرَجُلٌ رَذْل الثِّيَابِ وَالْفِعْلِ، وَالْجَمْعُ أَرْذَال ورُذَلاء ورُذُول ورُذَال؛ الأَخيرة مِنَ الْجَمْعِ الْعَزِيزِ، والأَرْذَلون، وَلَا تُفَارِقُ هَذِهِ الأَلف وَاللَّامُ لأَنها عَقِيبة مِن. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ (الشعراء ١١١)؛ قَالَهُ قَوْمُ نُوحٍ لَهُ، قَالَ الزَّجَّاجُ: نَسَبُوهُمْ إِلى الحِياكة والحِجامة، قَالَ: والصِّناعات لَا تَضُرُّ فِي بَابِ الدِّيَانَاتِ، والأُنثى رَذْلة، وَقَدْ رَذُلَ فُلَانٌ، بِالضَّمِّ،

يَرْذُلُ رَذَالَة ورُذُولَة، فَهُوَ رَذْلٌ ورُذَال، بِالضَّمِّ، وأَرْذَلَه غَيْرُهُ، ورَذَلَة يَرْذُلُه رَذْلًا: جَعَلَهُ كَذَلِكَ، وَهُمُ الرَّذْلون والأَرْذَال وَهُوَ مَرْذُول. وَحَكَى سِيبَوَيْهِ رُذِلَ، قَالَ: كأَنه وُضِعَ ذَلِكَ فِيهِ يَعْنِي أَنه لَمْ يَعْرض لرُذِل، وَلَوْ عَرض لَهُ لَقَالَ رذَّلَة وشَدَّد. وَثَوْبٌ رَذْل ورَذيل: وَسِخٌ رديءٌ. والرُّذَال والرُّذَالَة: مَا انْتُقي جَيِّده وَبَقِيَ رَدِيئُهُ..... والأَرْذَل مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: الرَّديء مِنْهُ))[٢٦].

عبر هذه النصوص اللغوية يتضح خسة ودناءة هؤلاء المزيفين للحقائق والرواة الذين لا يخافون الله في أهل بيت النبيﷺ ويحوكون من الكلام ما يوافق أهواء سلاطينهم وتصوير أهل هذا البيت أنهم على مقربة من الذلة والمهانة بعكس ما ينقل عنهم.

الإشكال الرابع: قبل صفحات قليلة من ذكر هذه الحادثة هم يروون حادثة أن الإمام الحسينؑ: ((ولما بقي الحسين في ثلاثة رهط أو أربعة دعا بسراويل محققة يلمع فيها البصر يماني محقق ففزره ونكثه لكيلا يسلبه فقال له بعض أصحابه لو لبست تحته تبانا قال ذلك ثوب مذلة ولا ينبغي لي أن ألبسه قال فلما قتل أقبل بحر بن كعب فسلبه إياه..))[٢٧]. وفي مورد آخر: ((دَعَا بِسَرَاوِيلَ فَفَزَّرَهُ وَنَكَثَهُ لِئَلَّا يُسْلَبَهُ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: لَوْ لَبِسْتَ تَحْتَهُ التُّبَّانَ. قَالَ: ذَلِكَ ثَوْبُ مَذَلَّةٍ وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَلْبَسَهُ، فَلَمَّا قُتِلَ سَلَبَهُ بَحْرُ بْنُ كَعْبٍ، وَكَانَتْ يَدَاهُ فِي الشِّتَاءِ تَنْضَحَانِ بِالْمَاءِ، وَفِي الصَّيْفِ تَيْبَسَانِ كَأَنَّهُمَا عُودٌ))[٢٨] فالإمامؑ في لحظاته الأخيرة يعطي درساً عمليا في العزة والكرامة وترك الذلة والابتعاد عنها ولم تكن زينبؑ غائبة عن حضور هذا المشهد المشرف والدرس العظيم.

الإشكال الخامس: إن هذه الرواية تنافي ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون٨). فالسيدة زينبؑ على بينة لمن العزة وظهورها بهذا المظهر ينافي ما جاء في القرآن الكريم، وحاشا لمثلها أن تكون بعيدة عن تطبيقات الشريعة الإسلامية؟!

الإشكال السادس: قول الإمام الحسينؑ: ((ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السّلّة والذلة وهيهات منا الدنيئة يأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وانوف حمية ونفوس أبية وأن نؤثر طاعة اللئام على مصراع الكرام))[٢٩] ففي يوم عاشور يتعارض ما ورد في الرواية مع ما موجود في قول الإمامؑ من سمو النفس في كل شيء والارتقاء بها عن كل ما يسيء إليها بقول أو فعل ومنها لبس الثياب والإظهار بمظهر غير لائق أمام الأعداء وإن كانت أسيرة لديه فعليه فإني استبعد هذه الرواية استبعاداً شديداً في أنهاؑ فعلت هذا الشيء فضلاً عن أنها صدرت عن أعدائهم، والعدو معروف دائماً يحاول تشويه الخصم وسمعته بشتى الطرق.

الإشكال السابع: فضلاً عن كل ما تقدم أن زينب بنت عليؑ ربيبة النبوة والإمامة وهي أول امرأة عاشت وتربت في أحضان النبوة والإمامة هذا أولاً، وثانياً عمرها الشريف لم يكن وقتها صغيراً بل تجاوز السادسة والخمسين أو أكثر والحياة قد أخذت منها مأخذاً فلا يصدر عنها ما يخدش حياءَها وكبرياءَها وكرامتها ووصايا الإمام الحسينؑ ترن

في مسامعها عليها السلام: أختاه لا تشمتي بنا الأعداء فهل من المعقول أنها تظهر وتختار لنفسها أن ترتدي ملابس رديئة أو رذيلة كما يزعمون. وثالثاً فإن هذه المرأة تمتعت بشخصية قوية جعلتها تواجه أعتى عتاة زمانها، وكانت قد هيأتها التربية العالية والظروف المريرة لمواجهة قسوة الحياة واختارها الحسين عليه السلام وبعبارة أدق هي من اختارت أن تكون شريكته في ملحمته في وقت تقاعس عن ذلك رجال كثيرون ومنها زوجها عبد الله بن جعفر وأخوها محمد بن الحنفية وأولاده العشرة وعبد الله بن العباس وغيرهم، وتعلم أن هذا الحدث التاريخي يعد انقلابة حقيقية لواقع الحياة أنذاك، فمن غير اللائق ومن غير المنطقي أن تختار لنفسها أن تلبس ثوب ذلة أو ثوب رديء أمام العدو.

فأرى أن هذا كله من الدّس العباسي في الروايات وخلط الأوراق فيها وتشويه صورة أهل هذا البيت بشتى الطرق، ولا سيما أنهم استغلوا كل مناسبة للنيل من الحسين عليه السلام عن طريق أهل بيته والطعن بهم، وفي هذا السياق لابد لي من القول إن استعمال لفظة (سبايا) أيضاً من الأخطاء اللغوية التي تعتبر مسيئة اساءة واضحة ومما تخدش الحياء وعلى الإنسان الشيعي أن يترفع عن ذكرها تأدباً مع أهل بيت النبوة فهي لفظة غير مهذبة وغير لائقة بحق نساء أهل البيت عليهم السلام إذا ما وقفنا عند دلالتها اللغوية، لأن لفظة (سبى) في اللغة تعني: ((سبي: السَّبْيُ والسِّباءُ: الأَسْر مَعْرُوفٌ. سَبَى العدوَّ وغيرَه سَبْياً وسِباءً إِذَا أَسَرَه، فَهُوَ سَبِيٌّ، وَكَذَلِكَ الأُنثى بِغَيْرِ هاءٍ مِنْ نِسْوة سَبايا. الجَوْهَرِيُّ: السَّبِيَّة المرأَةُ تُسْبى. ابْنُ الأَعرابي: سَبَى غَيْرُ مَهْمُوزٍ إِذَا مَلَك، وسَبَى إِذَا تمَتَّع بِجَارِيَتِهِ شَبابَها كلَّه، وسَبَى إِذَا استَخْفَى، واسْتَبَاهُ كَسَباه. والسَّبْيُ المَسْبِيُّ والجمع سُبِيٌّ... والسِّباءُ والسَّبْيُ الاسم وتَسابَى القومُ إذا سَبَى بعضهم بعضاً يقال هؤُلاء سَبْيٌ كثير وقد سَبَيْتهم سَبْياً وسِباءً وقد تكرر في الحديث ذكر السَّبْيِ والسَّبِيَّة والسَّبايا فالسَّبْيُ النَّهْبُ وأَخْـذُ الناسِ عَبيداً وإِماءً والسَّبِيَّة المرأَة المَنْهوبة فعيلة بمعنى مفعولة وسَبَى الخَمْرَ يَسْبِيها سَبْياً وسِباءً واسْتَباها حَمَلَها من بلد إلى بلد وجاءَ بها من أَرض إلى أَرض فهي سَبِيَّة... والسَّبْيُ يَقَعُ عَلَى النِّسَاءِ خاصَّة، إِمَّا لأَنَّهنَّ يَسْبِينَ الأَفْئدَةَ، وإِمَّا لأَنَّهنَّ يُسْبَيْنَ فيُمْلَكْنَ))[٣٠].

والسبي ناتج عن وجود النساء والصبيان في ميدان القتال ووقوع الأسر على الجميع ومن هنا أيضًا تساق النساء أسيرات إلى جنود المسلمين، وبعضهن يفقدن أزواجهن في المعارك، فيكون من الأكرم لهن أن يجدن من الجنود المسلمين من يكفلهن، ويحميهن من الانحراف والتسول، ومن هنا أبيح التسري بهؤلاء النساء، فهن بشر لهن شهوة، والتسري بهن لا عيب فيه، بل إشباع لرغباتهن الحسية. وفي ضوء ذلك، نستطيع أن نعي تسري الرسول (صلى الله عليه [وآله] وسلم) ببعض الجواري، فهذا أمر كان شائعاً في معارك هذا الوقت ليس في بلاد العرب فقط، بل لدى جميع الشعوب[٣١]. وفي كل حال لا يصح اطلاق ذلك على نساء آل البيت عليهم السلام.

وفي هذا السياق أود الإشارة إلى أن الروايات التي ذكرت أن أهل البيت عليهم السلام قد ساقوهم كما يساق سبي الروم والترك فهو أمر بعيد عنهم لأن هذه اللفظة

وردت في المعجمات اللغوية ((المِلاءُ: المَلاحِفُ. والبَرْدَجُ: مَا سُبِيَ مِنْ ذَرَارِي الرُّوم وَغَيْرِهَا؛ شبَّه هَذِهِ الْبَقَرَ البيضَ الْمُسَرْوَلَةَ بِالسَّوَادِ بسَبْيِ الرُّوم، لبياضِهم وَلِبَاسِهِمُ الأَخفافَ السُّودَ))[٣٢] فسبي الروم إذا ناظر فيه إلى المظهر الخارجي لهن وليس ناظراً إلى ما جرى عليهن من رزايا ومصائب، وهذه طامة كبرى!، ونحن غافلون عنها. إذن ما الداعي لذكر هذه العبارات وتكرارها في المجالس والمحافل؟؟ وهي من الإساءات الواضحة لمقام أهل البيت؟؟ بل إن كل ما ذكر في كتب القدماء والمحدثين وهي أكثر من أن تحصى من أنهن حاسرات الرؤوس مكشفات الوجوه وغيرها من هذه الألفاظ بعيدة كل البعد عنهن، لأن الإمام وكما يذكر السيد المقرّم كان على يقين وثقة بإخبار جدّه الرسول أنّ القوم؛ وإن بلغوا الخسّة والغواية وتناهوا في الخروج عن سبيل الحميّة لا يمدّون إلى النساء يد السوء، وقد أنبأ(سلام الله عليه) عن هذا بقوله لهنّ ساعة الوداع إذ قال لهن: ((البسوا أزركم، واستعدوا للبلاء، واعلموا أنّ اللهّ حاميكم وحافظكم، وسينجيكم من شرّ الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذّب أعاديكم بأنواع العذاب، ويعوّضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة، فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم))[٣٣] وبطبيعة الحال فإن القول الأول يخالف كلام المعصوم وينافي تطبيق الشريعة الإلهية والمحمدية.

أما لفظة (أسر) فتعني: ((الإِسارُ: الْقَيْدُ وَيَكُونُ حَبْلَ الكِتافِ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الأَسير، وَكَانُوا يَشُدُّونَهُ بالقِدِّ فسُمي كُلُّ أَخِيذٍ أَسِيراً وَإِنْ لم يشدّ به. يقال: أَسَرْت الرجلَ أَسْراً وَإِسَارًا، فَهُوَ أَسير ومأْسور، وَالْجَمْعُ أَسْرى وأُسارى...وكلُّ مَحْبُوسٍ فِي قِدٍّ أَو سِجْنٍ: أَسيرٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ (الدهر)؛ قَالَ مُجَاهِدٌ: الأَسير الْمَسْجُونُ، وَالْجَمْعُ أُسَراءِ وأُسارى وأَسارى وأَسرى))[٣٤].

وعبر النصوص اللغوية المتقدمة يتضح لنا الفرق بين لفظتي (السبية) و(الأسيرة) فدلالة لفظة (السبيّة) عند ابن الأعرابي أكثر توفيقاً من غيره في إعطائه المعنى اللغوي الأقرب إلى الواقع الذي يطلق على المرأة المملوكة أو التي تملك أو المتمتع بها أو المستخفى بها أيضاً، وكذلك تطلق كلمة (السبي)على النهب وأخذ النساء عبيداً وإماءً، وهذه الدلالات كلها لا يصح أن تطلق على أهل بيت الإمام الحسين لأنهن لسن كذلك!! ولعل ما ورد عن محاججة السيدة زينب في مجلس الطاغية يزيد بن معاوية دليل على صحة ما نقول إذ روي أن ((فاطمة بنت علي قالت لما اجلسنا بين يدي يزيد بن معاوية رقَّ لنا، وأمر لنا بشيء وألطفنا قالت: ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال:يا أمير المؤمنين: هب لي هذه يعنيني، وكنت جارية وضيئة فأرعدت وفرقت وظننت أن ذلك جائز لهم، وأخذت بثياب أختي زينب، قالت وكانت أختي زينب أكبر مني وأعقل، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون فقالت:كذبتَ والله ولؤمت ما ذلك لك وله. فغضب يزيد فقال: كذبتِ والله إن ذلك لي ولو شئتُ أن افعله لفعلت، قالت: كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا، قالت فغضب يزيد واستطار ثم قال: إياي تستقبلين

بهذا، إنما خرج من الدين أبوك وأخوك، فقالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك، قال: كذبت يا عدوة الله قالت: انت أمير مسلط تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك، قالت فو الله لكأنه استحيا فسكت.ثم عاد الشامي فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية، قال: أعزب، وهب الله لك حتفاً قاضياً))[٣٥].

فالواضح من الرواية أنهم ليسوا برعية ليزيد ولم يكونوا عبيداً ولا إماءً له ولا لغيره فضلاً عن أن المرأة العربية والحرة لا تسبى بل تؤسر كما حصل لسفّانة الطائية بنت حاتم الطائي حينما أسرت في إحدى معارك المسلمين، ولم يتطرق أحد إلى سبيها[٣٦] فكيف ببنات الوحي والرسالة وعقائل النبوة؟؟! أما الأسر فحصل فيه قيد وحبال مدت من عنق علي بن الحسين عليه السلام إلى عضد عمته زينب عليها السلام لأنهما رؤوس المعارضة في ذلك الركب والمتصديين لمقارعة الظالمين. وعبر ما تقدم من فرق بين لفظتي (الأسر) و(السبي) في الدلالة نحن نرتأي أن يكون استعمال لفظة الأسارى والأسرى والأسيرات بديلاً عن استعمال لفظة (السبايا) لما فيها خدش للحياء والعفة التي عليها نساء أهل البيت عليهم السلام ولذا أرفض ذلك رفضاً قاطعاً لأن هؤلاء النسوة قدّمن درساً عملياً وتطبيقياً للوقوف بوجه الظلم والظالمين في الشريعة المحمدية الأصيلة، وعليه فهنَّ من باب الأَولى أن يكن هن المطبقات لتعاليم تلك الشريعة بكل تفاصيلها ولاسيما مسألة الحجاب والستر هذا من جانب، ومن جانب آخر فهو من باب التأدب والترفع عن كل ما يسيء لهن بقول أو فعل، وأن نبعد هذه اللفظة عن قواميس استعمالاتنا اللفظية.

ومن نافلة القول إن هنالك كثيراً من الحقائق التاريخية الواقعية والتأكيدات التي تشير إلى استعمال لفظة (الأسارى) من ذلك ما جاء في كتاب اللهوف على قتلى الطفوف ((قال الراوي وكتب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية يخبره بقتل الحسين عليه السلام وخبر أهل بيته وكتب أيضاً إلى عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة بمثل ذلك أما عمرو فحيث وصله الخبر صعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم ذلك فعظمت واعية بني هاشم وأقاموا سنن المصائب والمآتم وكانت زينب بنت عقيل بن أبي طالب عليه السلام تندب الحسين عليه السلام وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وأهل بيتي بعد مفتقدي
منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم
أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي))[٣٧]

وبهذا القدر نكتفي بذكر الأخطاء اللغوية التي عليها كثير من الروايات التاريخية فيما يخص حادثة مثل حادثة كربلاء.

المحور الثاني:

قراءة في روايات طرق مسير الأسارى قبل يوم الأربعين

في المصادر التاريخية المذكورة آنفاً لم يتطرق أي أحد من المؤرخين إلى طبيعة المسير الذي كان عليه أهل البيت عليهم السلام من الكوفة إلى الشام، ولم يتطرقوا

إلى ذكر المدة الزمنية التي استغرق المسير فيها، ولم يذكروا الأمكنة التي مروا بها وماهي الحوادث التي جرت لهم في تلك المواضع إلا النزر القليل الذي يجعلنا أمام حدث مجهول المعالم. ولذا فإن ((إحدى المسائل المبهمة والغامضة في تاريخ عاشوراء هي تشخيص مسير حركة قافلة أهل البيت عليهم السلام من الكوفة إلى دمشق، ولم يرو أيّ مصدر من المصادر التاريخيّة المتقدّمة الذكر، خبراً معتبراً يحدّد المسير الذي سلكته قافلة الأسرى من الكوفة إلى الشام. ولكن بالرجوع إلى المصادر التاريخيّة القديمة، والخرائط الجغرافيّة لهذه المنطقة يمكن القول إنّه كان يوجد في ذلك الزمان ثلاثة طرق للوصول إلى الشام))[٣٨].

الطريق الأوّل: وهو المسير أو **الطريق السلطانيّ** وهو الطريق الذي سلكه أهل بيت الجلالة عند انطلاقهم من الكوفة إلى الشام طريق تكريت- الموصل- نصيبين- حلب- الشام وهو طريق عامر يمرّ بجانب بعض المدن والقرى العامرة، ويوجد من الكوفة إلى الشام على ذلك الطريق ما يقرب حدود أربعين منزلاً وهذا الطريق عامر في معظم مسافته، وهذا ما ذكره العلامة المحدّث النوريّ[٣٩]، وصرّح به العالم الجليل عماد الدين الطبري[٤٠] من أنهم عبروا في سيرهم آمد[٤١] والموصل ونصيبين[٤٢] وبعلبك[٤٣] وميا فارقين[٤٤] وشيزر[٤٥].

ولا بد لهذا المسير من أن تقع فيه أحداث متعدّدة مع بعض الكرامات من ذلك قصة الراهب في قنّسرين، وأيضاً الكرامات الباهرة التي ظهرت من الرأس المبارك للإمام عليه السلام عبر هذا المسير، وقد نقل ذلك القطب الراوندي (ت٥٧٢هـ)[٤٦]، وابن شهر آشوب(ت ٥٨٨ هـ)[٤٧] إذ يقول: ((ومن مناقبه عليه السلام ما ظهرَ من المشاهد التي يُقال لها مشهد الرّأس من كربلاء إلى عسقلان، وما بينهما في الموصلان ونَصيبين وحماه وحمص ودمشق وغير ذلك)) وكذلك سبط بن الجوزيّ (ت٦٥٤هـ)[٤٨].

ولا يمكن طبعاً ردّ كلّ هذه الروايات وتكذيبها، خصوصاً أنّه لا يوجد في البعض منها أيّ دافع للجعل والوضع[٤٩].

وبعد مطالعة هذه المسألة والبحث فيها كتب أحد المحقّقين المعاصرين عن هذا الطريق السلطانيّ أن الطريق يمر بـ (تكريت. الموصل. لبا. كحيل. تل أعفر. نصيبين. حرّان. معرّة النعمان. شيزر. كفر طاب. حماه. حمص. دمشق.)[٥٠] أو كما وضحّها أحد الباحثين بصورة أكثر تفصيلاًمن السابق، بأن المدن الواقعة على هذا المسير هي: حصّاصة. تكريت. أعمى. دير عروة. صليتا. وادي الفحلة. وادي النخلة. أرمينياء.. لبا. كحيل. جهينة. الموصل. تل أعفر. سنجار. نصيبين. عين الوردة. الرقّة. جوسق. بشر. بسر. حلب. سرمين. قنّسرين. معرّة النعمان. شيزر. كفر طاب. سيبور. عقر. حماه. حمص. بعلبك. دمشق[٥١]. وهذا ما يظهر لنا في الخريطة رقم (١).

خريطة رقم (١) حركة مسير الأسارى من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بحسب الطريق السلطاني

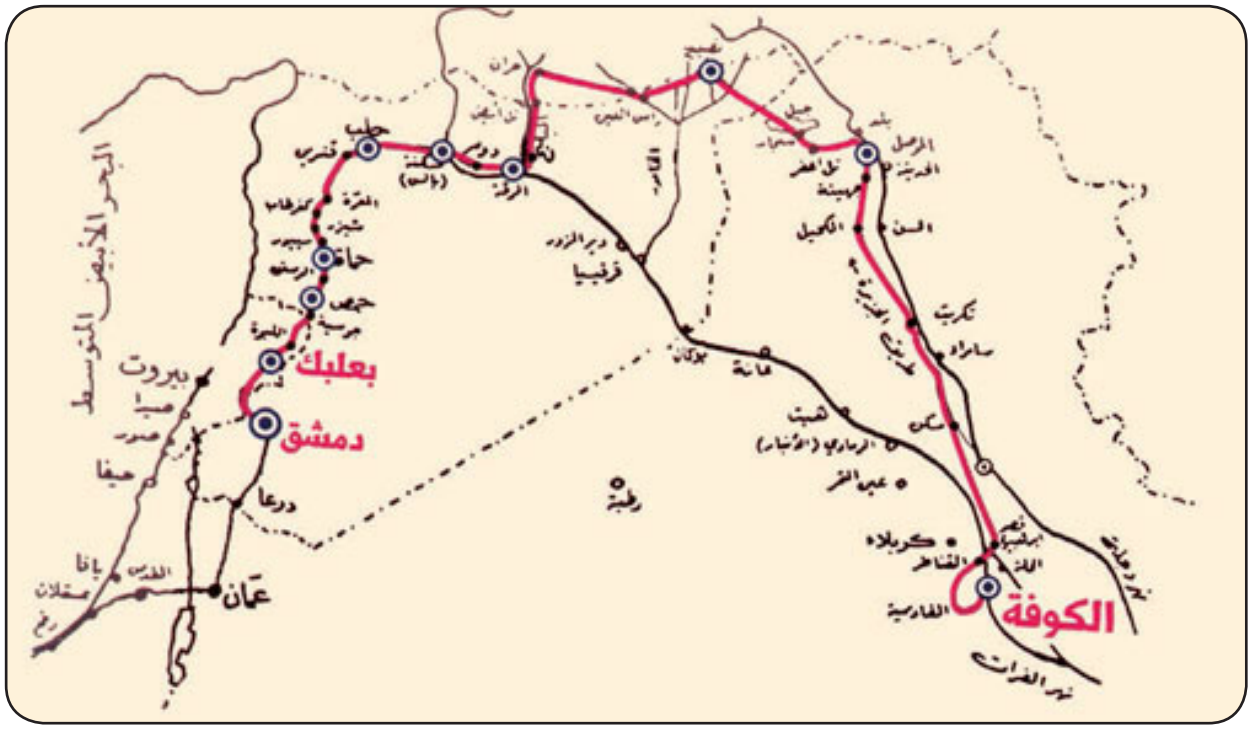

وبناءً على هذا المسير، فإنّ قافلة الأسرى سلكوا للوصول إلى دمشق، طريق تكريت إلى شمال العراق ثمّ دخلوا إلى ولاية الجزيرة (في شمال العراق الحالي والشمال الشرقي لسوريا) وبعده ذهبوا عن طريق الموصل وعند الخطّ الحدودي الحالي بين تركيا وسوريا ووصلوا إلى حرّان. وفي النهاية وصلوا إلى دمشق بعد قطع مسافة (١٥٠٠ كيلومتر) والعبور من المناطق السورية الغربية واجتياز مدن مثل: حلب معرّة النعمان حماه حمص[٥٢].

واستدلّ المحدّث النوريّ أنّ المسير كان على الطريق السلطانيّ بالبراهين والشواهد الآتية[٥٣]:

١. إنّ كتاب (مقتل أبو مخنف) الأصل، وإن كان مفقوداً وما هو موجود بين أيدينا قد سقط عن الاعتبار والاعتماد بسبب التغييرات الكثيرة التي طالته، ولكن ما هو متّفق عليه في كلّ النسخات أنّ أهل البيت عليهم السلام قد حُملوا إلى الشام عن طريق: تكريت والموصل ونصيبين وحلب، وهو الطريق السلطانيّ.

٢. ما ذكره عماد الدّين الطبريّ في كتابه (كامل البهائيّ) حيث كان يبيّن حركة الأسرى ويعدّد بعض المدن التي تؤيّد المسير السلطانيّ، إذ إنهم مرّوا في ذلك المسير على: (الآمد والموصل ونصيبين وبعلبك وميّا فارقين وشيزر) كما ذكرنا سابقاً، وروى بعض الحوادث التي وقعت في بعض المراحل والمنازل[٥٤].

وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على قوة وإمكانية الخصم يزيد بن معاوية بمساندة قوات أخرى له من قوى الدول العظمى (بيزنطة والروم) من جانب وخسته وحقارته من جانب آخر، وقد أشرنا في بداية البحث إلى ذلك.

والراجح عندي أن هذا الطريق هو الذي ساروا به بأهل البيت عليهم السلام لوجود كثير من الأدلة والقرائن والشواهد التاريخية منها التي مرّ ذكر بعضها، وسنأتي على البعض الآخر منها أن دخولهم إلى دمشق كان يوم الأربعاء السادس عشر من ربيع الأوّل على رأي عماد الدين الطبري[٥٥] وهو رأي يتوافق مع بعد المسافة وطول الطريق من جهة ومن جهة أخرى لورود عبارة له: ((وما كان بمقدور أحد من الناس أن يسلّم على أهل البيت هذه المدّة التي هي عبارة عن ستّ وستّين يوماً وهم بأيدي الكافرين، إلى أن انبرى للإمام زين العابدين شيخ وقال له: الحمد لله الذي قتلكم، فقال له الإمام زين العابدين: هل قرأتَ القرآن...))[٥٦] إلى آخر الكلام.

وهذا الطريق ينسجم مع كلام العقيلة زينب عليها السلام عند خطابها ليزيد: ((**أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله قد هتكت ستورهنّ وأبديت وجوههنّ يحدو بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهنّ أهل المناقل والمناهل**))[٧٥].

فضلا عن كل ما تقدم فقد قدَّم أحد المحققين[٥٨] تعريفا بالمشاهد التي شُيّدت في مواقعَ نزل فيها موكب أسارى آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، في طريقه من كربلاء إلى الكوفة (موقع واحد)، ومن ثمّ في الطريق من الكوفة إلى دمشق الشام ضمناً (ثمانية مواقع)،

خريطة رقم (٢) حركة مسير الأسارى من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بحسب طريق البادية

مع الإشارة إلى المشهد المشيّد في مدينة عسقلان في فلسطين. تلي ذلك، وقفة موجزة مع كيفيّة دخول الموكب النبويّ إلى الشام. وقد اعتُمد في إعداد هذا التحقيق -حصراً- على كتاب ((**نفَس المهموم في مصيبة سيّدنا الحسين المظلوم**)) للمحدّث الشيخ عبّاس القمّي (قدّس سرّه) وعلى كتاب ((**موكب الأحزان: خريطة الطريق**)) للشيخ الدكتور جعفر المهاجر، الصادر سنة ٢٠١١م، والذي يتناول المشاهد المشيّدة ما بين كربلاء والشام منها مشهد مسجد الحنانة ومشهد المُوصل ومشاهد نَصيبين ومشاهد بالسقط المسكنة ومشاهد جبل جوشن ومشهد حماه ومشهد حمص ومشهد بعلبك ومَشهد دمشق مشهد عسقلان.

وقد كتب الدكتور حيدر خير الدين تحقيقاً آخر في هذا الموضوع وذكر الأسباب التي ترّجح مسيرهم على هذا الطريق وعلّله بقوله: ((لأن الطريق الأقرب إليها هي عبر الموصل نصيبين، لذلك صدر الأمر بالترحيل عبر طريق الفرات الغربي الوافر بالكلأ والعامر بالخانات، وكان هذا الطريق بالأصل يطلق عليه طريق (البريد) لأمنه وعمارته بالقرى والدساكر التي تؤمن الزاد والعلف وهذا ما كانت تتطلّبه الأسفار حينذاك، لاسيّما وأن عديد الجند الأموي كان ألف فارس وفي رواية أخرى ألفاً وخمسمائة، وكان في موكب السبايا (الأسارى) ثمانية وسبعين رأساً يتقدّمهم رأس الإمام الحسين عليه السلام مرفوعة على القنا، وثلاثون امرأة وفتاة من أخواته عليهن السلام وزوجات أبيه، ومواليه وجواريه وصبيانهم جميعاً، فكانت القادسية أوّل المنازل التي مرّوا بها بعد خروجهم من الكوفة ثم وصلوا بمحاذاة تكريت عند قصر هبيرة خوفاً من انتفاضة القبائل، وبعدها جدّو في المسير حتى دخلوا إلى دير عروة ثم صليتا، وادي نخلة، ثم لينا والكحيل ومنها إلى الموصل التي اجتمع فيها أكثر من أربعين ألفاً من الأوس والخزرج لمقاتلة القوم فعكفوا عنها...))[٥٩] إلى آخر كلامه عن مسيرهم عليهم السلام.

وفي هذا الصدد صدر في الآونة الأخيرة كتاب ((**رجوع الركب بعد الكرب**))[٦٠]، يبحث موضوع

خريطة رقم (٣) تقريبية لحركة مسير الأسارى من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بحسب طريق صفين

الكتاب في مسير أسارى الركب الحسينيّ من الكوفة إلى الشام ثـمّ عودتهم يـوم الأربـعين إلى كربلاء، ويتعرّض فيه المؤلّف إلى الإشكالات الّتي طرحها الشيخ حسين النوري (رحمه الله) في كتابه (اللؤلؤ والمرجان) ومَن تبعه من تلامذته. وهو تحقيقٌ فريدٌ في بابه، إذ انبرى قلم المؤلّف إلى توثيق التواريخ وجمع الأدلّـة والشواهد الدالّة على إمكانيّة قطع الركب للمسافة ما بين كربلاء والشام ذهاباً وإياباً في ضمن مدة الأربعين يوماً. ولكني لم استطع الحصول عليه وقرأته.

الطريق الثاني: هو المسير المستقيم من الكوفة إلى الشام، والـذي يمرّ عبر بادية الشام، وقد احتمل المحدّث النوريّ المحدّث النوريّ في كتابه (اللؤلؤ والمرجان) هذا المسير كما ذكرنا سابقاً، وهو مسير يبدأ من الكوفة ويمرّ عبر سنجار- نصيبين - حلب - دمشق وهو أقصر طريق بالنسبة إلى الطريق الأول، كما في خريطة رقم (٢).

وذكر أحد المحققين أن الطريق من الكوفة إلى الشام بشكل مستقيم غير ممكنة، وكذلك فإن العودة إلى المدينة عبر تبوك ومعان والثنية والصنمين في الأردن في ذلك اليوم عسيرة جداً وذلك لبعد المسافة أولاً، وللخوف من ردّة فعل أهل المدينة ثانياً[٦١].

وذكر المحدّث النوريّ[٦٢] أنه لو قبلنا أن مسير حركة أهل البيت عليهم السلام عن طريق البادية أو الصحراء، فإنّ رجوعهم في الأربعين الأوّل سيكون ممتنعاً أيضاً، لأنّ المسافة الفاصلة بين الكوفة والشام في خطٍّ مباشر(١٧٥) فرسخاً (ما يعادل١٠٥٠ كيلومتراً) ودخول أهل البيت عليهم السلام إلى الكوفة كان في اليوم الثاني عشر من المحرّم، وكانوا في قصر ابن زياد في الثالث عشر منه، وحسب قول ابن طاووس في الإقبال فإنّ ذهاب المسافر من الكوفة إلى الشام وإيابه لا يمكن أن يكون في أقلّ من عشرين يوماً.

وهذا يعني أنه لو كان مسير قافلة الأسرى من الصحراء القاحلة والحارقة -وهي بادية الشام- فإنّ السيّدة زينب عليها السلام كانت ستشكو من جوع وعطش وتعب الأطـفـال والنساء في القافلة، ولا يكون اعتراضها على المرور في المدن بحالة الأسر، والوقوع تحت أنظار وأعـين الغرباء والأجـانـب. هـذا من جانب، ومن جانب آخر ما ورد في رواية ابن الأعثم والخوارزميّ حول مسير القافلة من الكوفة إلى الشام إذ صرّحوا بأنّ أسرى أهل البيت عليهم السلام قد ساقوا بهم من بلد إلى بلد كما يُساق أسرى الترك والديلم[٦٣].

الطريق الثالث: وهو الطريق المعروف والمحدّد بين الكوفة والشام، وهو طريق يمرّ من الساحل الغربيّ لشطّ الفرات عبر مدن مثل: الأنبار، هيت، قرقيسيا، الرقّة، صفّين. وهو الطريق نفسه الذي سلكه جيش أمير المؤمنين عليه السلام للقتال مع معاوية، وهو الطريق الذي قطعه عسكر معاوية للوصول إلى منطقة (مسكن) من أجل مواجهة عسكر الإمام الحسن عليه السلام[٦٤]. كما يظهر لنا في خريطة رقم (٣).

ومن مميّزات هذا المسير أنّه ليس طويلاًكالطريق السلطانيّ ولا يوجد فيه مشاقّ الصحراء المحرقة والقاحلة مثل طريق بادية الشام، ولذا فالظاهر أنّ احتمال اختيار هذا الطريق الوسطيّ سيكون أقوى

لدى بعض المحققين[٦٥]. ولكننا لا نؤيده لأن الجيش إذا كان بإمكانه قطع هذا الطريق فلا يمكن لقافلة فيها أطفال ونساء ولها وضعها الخاص أن تقطعه؟!

فضلاً عن أن الشواهد الموجودة والكرامات الواردة عن رأس الإمام عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام في مدن (حلب. قنّسرين. حماه. حمص. دير الراهب) لن تكون شاهداً لأحد طريقي الوسطيّ والسلطانيّ لأنّها مناطق مشتركة بينهما. نعم لو كانت هذه الشواهد قويّة فإنّها ستنفي سلوك طريق بادية الشام حتماً. ولكننا نرى أن هذا الطريق كان طريق الإياب لا طريق الذهاب.

وخلاصة القول في هذه المسألة الشائكة لو أخذنا بعين الاعتبار طريق السفر، مع أقلّ مدّة توقف عندها أهل البيت عليهم السلام في الشام، فإنّ رجوعهم في الأربعين الأوّل يعتبر من المحالات والممتنعات، لأن الإقامة شهراً كاملاًفي الشام، كما ذكر السيّد ابن طاووس، وقطع مسافة ثمانية فراسخ (ما يقرب من ٥٠ كيلومتراً) كلّ يوم -ليلاً نهاراً- يعني أن يبقوا على الطريق (٢٢) يوماً، فالمجموع سيكون أكثر من أربعين يوماً. طبعاً ما ذكرناه من الوقت ليس كافياً لقافلة تتألّف من نساء وأطفال، ليصلوا في الأربعين إلى كربلاء، لأنّ وصول هذه القافلة إليها يتطلّب وقتاً زائداً عن الأربعين يوماً[٦٦].

على أن هناك من رأى[٦٧] أن جيش الأعداء قد اصطحبوا الأسارى الى الكوفة في اليوم الحادي عشر من محرم، وأركبوهن على النياق وهي الجمال وكانت بلا وطاء ولا غطاء، وقد دخلوا الكوفة في اليوم الثاني عشر أو الثالث عشر من شهر محرم وكان انطلاق موكب الاسارى نحو الشام في اليوم التاسع عشر من محرم وفي قول آخر كان ذلك في اليوم الخامس عشر منه. وأن دخولهم إلى الشام كان في اليوم الأول من شهر صفر، وهذا يعني أن مدة المسير من الكوفة إلى الشام كانت حوالي ١٢ يوما على رواية، أو ١٧ يوما على القول الآخر. وأنهم سلكوا في طريق الذهاب الطريق الأطول ابتداءً من الكوفة نحو ما يعرف حالياً بشمال العراق حيث عبروا بغداد الى تكريت ثم الموصل وتلعفر، مروراً بنصيبين في الأراضي التركية حالياً، وبعدها إلى الأراضي السورية إلى الرقة وحلب (حيث مسجد النقطة) ثم إلى حماه وحمص ثم إلى شرق لبنان مروراً بمدينة بعلبك واتجهوا بعدها شرقاً نحو منطقة الزبداني وصولاً إلى مدينة دمشق من جهتها الغربية، لغاية أرادها الأعداء من استعراض قوتهم. أما في طريق عودتهم من الشام إلى كربلاء فقد سلكوا طريقاً أقصر وليس عامراً بالسكان كما هي حال طريق الذهاب، وهو قريب من حدود الأردن حاليًا عبر مرورهم بالأنبار إلى كربلاء قبل أن يكملوا عودتهم نحو المدينة المنورة، بعد أن أمضوا أياماً في الشام قدَّرها العلامة المجلسي بأنها عشرة أيام، وهي الأقرب الى الواقع.

وبالملاحظة لمسافة الطريق الطويل من الكوفة الى الشام فإنه يبلغ وفق الحسابات المعروفة في زماننا حوالي ١٩٠٠ كلم، وهذا يعني أنهم قطعوا يومياً ما بين ١٢٠ إلى ١٥٠ كلم وهذا أمر يسير بالنسبة لسير الجمال. مع ملاحظة أن الجمال لها قابلية السير لمسافات طويلة حتى بدون ماء، وأن معدل سرعتها

كما يقول الخبراء في زماننا يصل في حده الأقصى ولمسافات ليست طويلة الى ما يقارب ٦٥ إلى ٧٠ كلم في الساعة، وأما مع المسافات الطويلة فإن الجمال تستطيع أن تسير بمعدل ٤٠ كلم في الساعة، وأن معدل السير البطيء للجمل هو ما بين ٨ الى ١٠ كلم في الساعة، وهذا لا يزيد كثيراً عن سرعة الانسان الماشي الذي يسير بما معدله ٥ الى ٧ كلم في الساعة. فإذن القافلة قد سارت من الكوفة بسرعة اعتيادية جداً، فلم تكن بطيئة ولا سريعة وتقدر سرعتها بما بين ١٥ و٢٠ كلم في الساعة، بمعدل يتراوح بين ٨ و١٠ ساعات في اليوم ليس أكثر وهذا أمر اعتيادي أيضاً ولا غرابة فيه، رغم إمكانية أن يقطعوا تلك المسافة بزمن أقل لوجود نصوص تدلل على ان الأعداء كانوا يجدون بهنَّ السير. أما فيما يتعلق بطريق العودة إلى كربلاء، فلم يكونوا بحاجة إلى أكثر من خمسة أيام في رحلة العودة، ويبدو أنهم ساروا بسرعة أبطأ من سرعة الذهاب الاعتيادية، بعد أن غادروا الشام بعد العاشر من شهر صفر إذ لم يبقوا بها أكثر من عشرة أيام كما تشير إلى ذلك بعض النصوص[٦٨]، ولا وجه لبعض النصوص التي تشير إلى بقائهم أكثر إذ لم يكن ليزيد من مصلحة في إبقائهم في الشام أكثر، خاصة بعد وفاة رقية وتقلب المزاج العام نتيجة خطبة زينب وكلام زين العابدين عليهما السلام بحيث صار من مصلحته تعجيل إرجاعهم، فتكون النتيجة أن وصول الأسارى ومعهم الرؤوس إلى كربلاء كان في يوم الأربعين من نفس تلك السنة، طبقاً للنصوص الواردة ولا وجه لاستبعاد ذلك، كما وقع فيه بعض علمائنا السابقين لعدم التفاتهم الى تلك الخصوصيات التي أشرنا اليها.

وفي رأينا يبقى الواقع العملي والفعلي هو الحكم الفصل في هذه المسألة ومتى توافرت الظروف المناسبة التي تشبه ظروف تلك القافلة، وتهيأت لها الإمكانات الخاصة ونجعلها تسير كما سارت سوف نتبين حقيقة هذا الأمر ونرى أي الطرق سلكت، ونحدد وقتها والزمان الذي يمكن لها أن تقطعه من الكوفة إلى الشام مع مراعاة الظروف الجوية وطبيعة المناخ بعد أن نحدد في أي وقت كان يوم عاشوراء على اختلاف الروايات، ويؤخذ بنظر الاعتبار طبعاً الأعداد التي سارت في تلك القافلة والمنازل التي وقفوا عندها والاشتباكات والمناوشات التي حصلت وغيرها من تفصيلات الأمور، مع الأخذ بنظر الاعتبار طريق العودة الذي بيّناه أيضاً.

المحور الثالث:

قراءة في روايات يوم الأربعين (المؤيدون والمنكرون)، والردّ عليهم

بعد أن ذكرنا في المحور الثاني أهم الطرق التي من المحتمل أن يكون أهل البيت عليهم السلام قد سلكوها في رحلتهم من كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام بحسب المرويات التاريخية التي وقفت عند هذه المسألة مع الأخذ والرد فيها، وترجيح الطريق الأول مع الأدلة والضوابط سنقف في هذا المحور على يوم الأربعين، ونرى هل حصل فعلاً في السنة الأولى بعد واقعة عاشوراء أم لا؟ وسنعرض أهم آراء المؤيدين لذلك والمنكرين له.

إن المتصفح في الروايات التاريخية يجد أن في هذه المسألة اختلافاً واضحاً في عدم تحديد يوم الأربعين

الأول وانقسموا في هذا الموضوع بين مؤيد لذلك وبين معارض بحسب ما رآه، لأن ((بعض العلماء، وبسبب الاختلافات الموجودة في بعض الروايات حول (في) زمان ورود أهل البيت عليهم السلام إلى دمشق، ومدّة إقامتهم في الشام، لم يستطيعوا تقبّل مسألة وصول أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء في الأربعين الأوّل بل اعتبروها - ولأسباب ما- مستبعدة، بل في حكم المحال))[٦٩].

وقد ذكر أحد الباحثين أسماء المنكرين[٧٠] في مسألة وصول أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء في العشرين من شهر صفر سنة (٦١) منهم ابن نما الحلي (ت ٦٤٥هـ) في كتابه (مثير الأحزان)، والسيد ابن طاووس الحلي (ت ٦٦٤ هـ) في كتابه (اللهوف)، وكذلك العلّامة المجلسيّ (المتوفَّى ١١١١هـ) في (البحار)، ومنهم أيضاً الميرزا حسين النوريّ (١٢٥٤-١٣٢٠هـ) مؤلّف كتاب (مستدرك الوسائل) فهو بعد أن ينقل في كتابه (اللؤلؤ والمرجان) كلام السيّد ابن طاووس في اللهوف الذي يؤيّد مسألة مجيء الأسرى إلى كربلاء، يأخذ بنقد ذلك الرأي وينفيه وسنأتي على ذكر ذلك في موضعه. كذلك الشيخ عبّاس القمّي (ت ١٣٥٩هـ)، ومن المنكرين أيضاً لهذه الحادثة العلّامة أبو الحسن الشعرانيّ (ت١٣٥٢هـ).

وأنكر الشهيد الأستاذ مرتضى المطهّري خبر لقاء جابر بأهل البيت عليهم السلام وقال: إنّ الشخص الوحيد الذي نقل هذا الأمر هو السيّد ابن طاووس في اللهوف، ولم ينقله أحد غيره، بل إنّ السيّد نفسه أيضاً لم يتعرّض لهذا الموضوع في كتبه الأخرى. ثمّ إنّ الدليل العقليّ أيضاً لا يتوافق مع هذا الرأي.

وهنا لا بدّ من التنبيه إلى أنّه إن كان مقصود الأستاذ المطهريّ من خبر اللقاء، هو اللقاء يوم الأربعين، فإنّ ابن طاووس- وكما نبّهنا عليه سابقاً- لم يقل بذلك أبداً حتّى في كتابه اللهوف[٧١].

ومن المنكرين أيضاً المحقّق محمّد إبراهيم آيتي الذي يعتبر مسألة وصول أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء في الأربعين من المآسي التاريخيّة حيث لا يمكن إيجاد أي سند موثّق ومؤكّد لها بين أيدينا. ومن المنكرين أيضاً لهذه الحادثة السيّد الدكتور جعفر الشهيديّ.

في مقابل هؤلاء المنكرين حدد بعض الباحثين أن هناك بعض المؤيدين من العلماء قد ذهبوا إلى القول بحضور أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء في الأربعين الأوّل أو على الأقلّ هذا ما يُستفاد من ظاهر كلامهم. وكان من أبرزهم[٧٢]:

أبو ريحان البيرونيّ (المتوفَّى ٤٤٠هـ): قال ((وفي العشرين ردّ رأس الحسين عليه السلام إلى جثته حتّى دفن مع جثّته، وفيه زيارة الأربعين وهم حرمه، بعد انصرافهم من الشام))[٧٣].

ومن النص المتقدم يتضح أنّ البيروني وضح أن الرأس الشريف رُد ودفن مع جثته في العشرين من صفر، وقال (فيه) الهاء عائدة على العشرين أيضا زيارة الأربعين وهم عائلته عليه السلام بمعنى أن عددهم كان أربعين امرأة. وهنا أعطى بعداً آخر للأربعين.

ومن المؤيدين أيضا الشيخ البهائيّ (ت١٠٣٠هـ) إذ يقول: ((التاسع عشر- أي من صفر- فيه زيارة الأربعين لأبي عبد الله الحسين عليه السلام وفي هذ اليوم وهو

يوم الأربعين من شهادته عليه السلام كان قدوم جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه) لزيارته عليه السلام واتفق ذلك اليوم ورود حرمه عليه السلام من الشام إلى كربلاء قاصدين المدينة على ساكنها السلام والتحية))[٧٤].

وألفاظ النص تكشف لنا أن قدوم جابر الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) كان في يوم الأربعين من شهادته عليه السلام، أما ورود حرم الإمام الحسين عليه السلام من الشام فكان في هذا اليوم تحديداً، وهو أشبه بما ذكره الشيخ المفيد في (مسارّ الشيعة) والشيخ الطوسي في (مصباح المتهجّد) والعلّامة الحلّي في (العدد القويّة) و (منهاج الصلاح) والكفعميّ في كتاب (المصباح) من أنهم ليس فقط لم يذكروا حادثة وصول أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء، بل صرّحوا بأنّ يوم العشرين من صفر هو يوم رجوع أهل البيت عليهم السلام من الشام إلى المدينة. وكلمة (الرجوع) تعني يوم رجوعهم من الشام لا معنى وصولهم إلى كربلاء ودليلنا في ذلك قول ابن نما: ((ولمّا مرّ عيال الحسين عليه السلام بكربلاء))[٧٥]، وكذلك ابن طاووس لم يحدد لنا الزمان ولم يحدد لنا الراوي بل أكتفى بالقول:((قال الراوي ولما رجع نساء الحسين عليه السلام وعياله من الشام وبلغوا العراق قالوا للدليل مُرَّ بنا على طريق كربلاء فوصلوا إلى موضع المصرع فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري (رحمه الله) وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل رسول الله صلى الله عليه وآله قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام فوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم وأقاموا المأتم المقرحة للأكباد واجتمع إليهم نساء ذلك السواد فأقاموا على ذلك أياماً))[٧٦] فالنص فيه دلالة واضحة على أن الرجوع هو غير الوصول مع العلم أنه لم يذكر لنا يوم اللقاء، وإنما ذكر وقت اللقاء ما بين جابر وأهل البيت عليهم السلام.

و((الظاهر من كلام ابن طاووس أنّ جابراً قد وصل إلى كربلاء قبل أهل البيت عليهم السلام ولكن المحدّث النوريّ كأنّه حمل العبارة (فوافوا) على معنى أنّ أهل البيت عليهم السلام وجابر قد دخلوا سويّة إلى كربلاء!! مع أنّ ملاحظة الكلمتين (فوصلوا) و(فوجدوا) يبيّن أنّ المقصود من كلمة (فوافوا) هو مجرّد اللقاء والاجتماع لأجل العزاء والبكاء، لا بمعنى الدخول والوصول إلى كربلاء في نفس الزمان))[٧٧].

ومن المؤيّدين لتلك الحادثة أيضاً السيّد محمّد عليّ القاضي الطباطبائيّ إذ حاول إثبات إمكانيّة وصول أهل البيت عليهم السلام في الأربعين (عام ٦١هـ) عبر النقد والرّد على الشبهات التي وجّهها المحدّث النوريّ الذي أنكر ذلك الوصول.

ومنهم الميرزا محمّد الإشراقيّ المعروف بـ(أرباب) (ت ١٣٤١هـ)[٧٨]، إذ إنّه بعدما عرض كلام الطبريّ في (بشارة المصطفى) لزيارة جابر، قال: لم يذكر في هذا الخبر المعتبر أنّ زيارة جابر كانت في يوم الأربعين أم في غيره، ولم يذكر فيه أيضاً أنّ زيارة جابر كانت في السّنة الأولى لشهادة الإمام الحسين عليه السلام أم السّنة التي بعدها، وعلى ما يبدو فإن التشكيك واضح في قبول هذه المسألة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار عدد المنكرين لها قياساً إلى عدد المؤيدين لها من جانب وحتى الذين يستشف منهم القبول لم يكونوا على درجة واضحة من التصريح.

ولكن المذكور في الكتب الشيعيّة كما يراها بعضهم[٧٩] أنّ هناك أمرين قد تحقّقا على كلّ حال:

الأوّل: أنّ الكثيرين من الخاصّة والعامّة قد ذكروا ورود أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء في يوم الأربعين.

الثاني: وهو ثابت في السيرة والتاريخ، أنّ أهل البيت عليهم السلام لم يسافروا أبداً إلى العراق بعد عام الشهادة (٦١هـ).

فضلاً عن كل ما تقدم فإن عدم ذكر هذه الحادثة في المصادر التاريخيّة القديمة دليل على أن هذه الحادثة لم تقع بالصورة المعهودة عندنا أو ربما وقعت، ولكن ليس بهذا الوقت المحدد إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار مسافة الطريق وطول السفر، فالطبريّ[٨٠] والشيخ المفيد[٨١] مثلاً حينما نقلا أحداث عاشوراء عن أبي مخنف لم يأتوا على ذكر هذه الحادثة، وكذلك الطبرسيّ (ت٥٤٨هـ)[٨٢]، والخوارزميّ (ت ٥٦٨هـ)[٨٣] وابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) وسبط بن الجوزيّ وعماد الدّين الطبريّ[٨٤] لم يتعرّض أيّ منهم لمثل هذه الحادثة[٨٥].

ثمّ يضيف المحدّث النوريّ في هذا الصّدد: ((ولا يمكن أن يكون أهل البيت عليهم السلام قد ذهبوا خلال سفرهم إلى كربلاء، وهناك يجتمعون مع جابر، ويقيمون العزاء لعدّة أيّام، ثمّ لا يرى الشيخ المفيد شيئاً من ذلك في أي مصدر معتمد، أو يراه ولكن لا ينقله في هذا المقام))[٨٦].

وفي ضوء ما مرّ يمكننا القول إن عدم الاتفاق في بعض الألفاظ التي مرّ ذكرها من مثل (وصول، رجوع، ورود) وعدم توحيدها بلفظة واحدة ربما هي التي أدت إلى الاختلاف في قبول هذه الحادثة وعدم قبولها، فالوصول إلى شيء ليس كمثل الرجوع والفرق واضح بين الاثنين، ولذا نرى أن الحادثة وقعت ولكن ليس بالصورة المعهودة عندنا هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن العلماء نظروا إلى لفظة (الأربعين) واختلفوا في دلالتها فمرة أطلقت على الأربعين يوماً بعد شهادة الإمام عليه السلام، ومرة اطلقت على زيارته في الأربعين، ومرة أخرى اطلقت وأريد بها حرم الإمام الحسين عليه السلام، ومرة أخرى كان فيه رجوع أهل البيت عليهم السلام من الشام، ومهما يكن من أمر فإن هذا اليوم يبقى يوماً آخر من أيام ملحمة كربلاء الكبرى التي ما يزال عطاؤها لا ينضب ويتجدد في كل زمان وفي كل حين.

وختاماً نورد نصاً عن أبي الفداء (ت٧٣٢هـ) في تاريخه لم يذكر أن أهل البيت عليهم السلام قد رجعوا إلى العراق فيقول: ((ثم أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم وأن يبعث معهم أميناً يوصلهم إلى المدينة فجهزهم إلى المدينة ولما وصلوا إليها لقيهم نساء بني هاشم....))[٨٧] وغيرها من الروايات التي تحتاج إلى التحقق والتتبع والدراسة. ونحيلها الى بحث قادم إن شاء الله تعالى.

الخاتمة:

بعد الانتهاء من الخوض في هذه الجولة من الوقوف عند العديد من المصادر التاريخية القديمة والحديثة توصل البحث إلى جملة من النقاط أبرزها:

١. جعل البحث يوم الأربعين نقطة انطلاق لدراسة بعض الحوادث التي سبقت هذا اليوم ابتداءً من بعد يوم عاشوراء وما جرى فيه من حوادث.
٢. حدد البحث الخوض في جملة من المصادر

التاريخية المعتمد عليها في إيراد حادثة كربلاء وما تبعها من أحداث، وحللنا بعض ألفاظها تحليلاً لغوياً ومنطقياً وعقلياً بحسب المورد الذي وردت فيه.

٣. بيّن البحث عبر المحور الأول أن هنالك جملة من الأخطاء اللغوية في بعض المرويات التاريخية والتي هدف بعض كتابها كما اعتقد الاستهانة والإساءة المتعمدة لمقام أهل البيت عليهم السلام وهو ما أراده التنظير العباسي، أو لعله من باب الجهل باللغة من أبي مخنف وغيره الذين نقلوا هذه الروايات من غير تمعن وتمييز في ألفاظها ودلالاتها!.

٤. وفق تصورات البحث الذي درس بعض تلك الألفاظ رجّحت الباحثة اختيار لفظة التسيير أو الإرسال بدلاً من التسريح، ولفظة أسارى بدلاً من سبايا لما في ذلك خدش لحياء بنات الرسالة ومن باب التأدب مع آل الرسول صلى الله عليه وآله وغيرها من الألفاظ.

٥. عِبر المحور الثاني اتضح لنا أن الروايات التي بحثت في طرق حركة مسير أهل البيت عليهم السلام من كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام كانت عبارة عن ثلاثة طرق يُعتقد أن أهل البيت عليهم السلام قد سلكوا أحدها.

٦. رجح البحث أن الطريق الذي ساروا به أهل البيت عليهم السلام هو طريق الدولة أو الطريق السلطاني كما كانوا يسمونه وذكرنا جملة من الدلائل والشواهد على ذلك.

٧. أما المحور الثالث فوقف على جملة من الاختلافات بين العلماء المتقدمين والمتأخرين بين منكر لذلك وبين مؤيد لها في مسألة حصول الأربعين الأول أو عدمه بناء على ما جاء من الروايات التاريخية في هذا السياق.

٨. أن عدد المنكرين لهذه المسألة فاق عدد المؤيدين لها فضلاً عن عدم ذكر هذه الحادثة في المصادر التاريخيّة القديمة التي حددنا في بداية البحث واعتمدناها كمصادر أساسية للبحث زيادة على الاستعانة بالعشرات من المصادر غيرها.

٩. كشف البحث عبر المرويات أن العلماء نظروا إلى لفظة (الأربعين) واختلفوا في دلالتها فمرة أطلقت على الأربعين يوماً بعد شهادة الإمام عليه السلام، ومرة اطلقت على زيارته في الأربعين، ومرة أخرى اطلقت وأريد بها حرم الإمام الحسين عليه السلام، ومرة أخرى كان فيه رجوع أهل البيت عليهم السلام من الشام.

الهوامش

(١) اللهوف على قتلى الطفوف ٢٠١.

(٢) أننا نميل إلى الرأي الذي يقول بأن نهضة الإمام الحسين عليه السلام كانت ضد بيزنطة العظمى وليس ضد الحكم الأموي وما يزيد إلا أداة منفذه لتلك الدولة العظمى وإلا بماذا نفسر امتداد هذه الملحمة الكبرى على مدار هذه الأعوام المتطاولة من الزمن من جهة؟؟ ومن جهة أخرى ما المبرر من دخول جيش المجفقة ظهيرة اليوم العاشر من المحرم وكذلك دخول الكتيبة الحمراء أيضاً إلى ساحة المعركة لولا دعمها وإسنادها لجيش يزيد في ذلك؟؟! وهذا موضوع طويل وشائك ويحتاج إلى دراسة وتحليل وليس من همّ موضوعنا الآن.

(٣) مقتل الحسين: الخوارزمي ١ /١٨٩. وينظر: كتاب الفتوح ٥/ ٢١. وصية الإمام الحسين لأخيه محمد بن الحنفية.

(٤) مقتل أبي مخنف للطبري٢١٢ـ إن هذا المقتل رواه أبو مخنف عن هشام بن محمد السائب (ت٢٠٤هـ أو ٢٠٦هـ) وهشام هو ((أبو المنذر الناسب الكلبي الإخباري النسابة العلامة، روى عن أبيه أبي النضر الكلبي المفسر وعن مجالد، وحدث عنه جماعة. قال أحمد بن حنبل: إنما كان صاحب سمر ونسب، وقيل: إن تصانيفه أزيد من مئة وخمسين مصنفاً، مات سنة أربع ومأتين، ومن الرواة عنه محمد بن سعيد وولده العباس بن هشام، وكان واسع الحفظ جداً. وذكره ابن أبي طي في الامامية وقص له قصة مع جعفر الصادق (رحمه الله تعالى)، ونقل أبو الفرج الاصبهاني عن أبي يعقوب الحريمي قال: كان هشام بن الكلبي علاّمة نسّابة وراوية للمثالب، وبلغت كتبه كما عدها ابن النديم في الفهرست مئة وأربعة وأربعين كتاباً)) مقتل أبي مخنف للطبري ٢ الهامش ١.

ومن الغريب أيضاً أن المقتل لأبي مخنف ولكن في الصفحة الثانية مباشرة، وفي بداية الكتاب في موضوع خلافة يزيد بن معاوية يذكر عبارة: ((قال هشام بن محمد عن أبي مخنف)) ولا ندري من روى عن من؟؟!. ولماذا لم يرو الطبري هو أيضا عن هشام فيقول مقتل الحسين لهشام بن محمد؟؟.

وقيل عنه ((هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن زيد. العالم بالأيام، المشهور بالفضل والعلم، وكان يختص بمذهبنا. له كتاب مقتل الحسين عليه السلام. رجال النجاشي: ٤٣٤-٤٣٥ رقم ١١٦٦)) الملهوف على قتلى الطفوف/ علي بن موسى بن طاووس ٣٦.

(٥) مقتل أبي مخنف للطبري ٢١٦ـ وفي مقدمة الرواية ((قال هشام: وأما عوانة بن الحكم الكلبي فإنه قال: لما قتل الحسين وجيء بالأثقال والأسارى حتى وردوا بهم الكوفة إلى عبيد الله فبينا القوم محتبسون اذ وقع حجر في السجن معه كتاب مربوط وفي الكتاب: خرج البريد بأمركم في يوم كذا وكذا إلى يزيد بن معاوية، وهو سائر كذا وكذا يوماً وراجع في كذا وكذا، فإن سمعتم التكبير فايقنوا بالقتل وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله، قال: فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد ألقي في السجن ومعه كتاب مربوط وموسى وفي الكتاب: أوصوا وأعهدوا، فإنما ينتظر البريد يوم كذا وكذا)) مقتل أبي مخنف ٢١٦.

(٦) الثقات ٢/ ٣١٢.

(٧) تحقيق في زيارة الأربعين.

(٨) مثير الأحزان ومنير سبيل الأشجان ٨٤.

(٩) لسان العرب ٢/ ٤٧٨.

(١٠) معاني القرآن للفراء ٢/ ٩٦.

(١١) لسان العرب ٢/ ٤٧٩.

(١٢) كتاب الفتوح ٥/ ١٢٠.

(١٣) الكامل في التاريخ ٣/ ١٨٥.

(١٤) مقتل أبي مخنف ١٥١، وينظر: مثير الأحزان ومنير سبيل الأشجان ٨٣.

(١٥) تاريخ الأمم والملوك٤/ ٣٤٩، وينظر: مقتل أبي مخنف للطبري ١٥٢.

(١٦) الكامل في التاريخ ٣/ ١٨٦.

(١٧) مثير الأحزان ومنير سبيل الأشجان٩٠.

(١٨) رجال الشيخ الطوسي ١١٢.

(١٩) رجال الشيخ الطوسي ٢٤٠.

(٢٠) الأمالي ١٣٧.

(٢١) تاريخ الأمم والملوك ٤/ ٣٤٩. وينظر: مقتل أبي مخنف ١٥٢.

(٢٢) مقتل أبي مخنف للطبري ١٤٩.

(٢٣) مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة ٥/ ١.

(٢٤) كتاب الفتوح ٥/ ١٢٢.

(٢٥) اللهوف على قتلى الطفوف ١٤٤-١٤٥.

(٢٦) لسان العرب ١١/ ٢٨٠

(٢٧) تاريخ الأمم والملوك ٤/ ٣٤٥.

(٢٨) الكامل في التاريخ ٣/ ١٨٢.

(٢٩) تحف العقول ٢ / ٥٢.

(٣٠) لسان العرب ١٤/ ٣٦٧- ٣٦٨. مادة (سبى).

(٣١) ينظر: أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية ٢٩٠- ٢٩١.

(٣٢) لسان العرب ٢/ ٢١٣.

(٣٣) الدمعة الساكبة ٤/ ٣٤٦. وينظر: العباس عليه السلام عبد الرزاق الموسوي المقرم ١١٧.

(٣٤) لسان العرب ٤/ ١٩.

(٣٥) مقتل أبي مخنف ١٦٠.

(٣٦) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢ / ٥٧٨ -٥٨٠.

(٣٧) اللهوف على قتلى الطفوف ١٦٩- ١٧٠.

(٣٨) تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام محسن رنجبر، أستاذ مساعد في مؤسّسة الإمام الخمينيّ للتعليم والبحوث- قم المقدّسة.

(٣٩) ينظر: اللؤلؤ والمرجان ١٨٧.

(٤٠) ينظر: كامل البهائي ٢/ ٣٦٠- ٣٦١.

(٤١) تقع آمد حول دجلة كالموصل. ويقول محقق كتاب اللؤلؤ والمرجان أن آمد مدينة ديار بكر اليوم. الهامش ٢ الصفحة ١٨٨.

(٤٢) نصيبين هي مدينة تقع اليوم في تركيا.

(٤٣) المنزل الرابع (بعلبك) هي إحدى المنازل الثلاث من بلاد الشام وهي (قنسرين وشيزر وبعلبك).

(٤٤) المنزل الخامس يقع قرب (ديار بكر) وهي تابعة لبلاد الجزيرة.

(٤٥) المنزل السادس يقع قرب حماة بين حلب والشام.

(٤٦) ينظر: الخرائج والجرائح ٢/ ٥٧٨٠.

(٤٧) مناقب آل أبي طالب ٣/ ٢٧٧- ٢٧٨.

(٤٨) ينظر: تذكرة الخواصّ ٢٦٤.

(٤٩) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام- ٤٣.

(٥٠) سيرة عليّ بن الحسين عليه السلام السيّد جعفر الشهيديّ ٦٢.

(٥١) فرهاد ميرزا معتمد الدولة القمقام الزّخار والصمصام البتّار ٢/ ٥٤٨-٥٥٠. ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٤٥.

(٥٢) تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٤٥.

(٥٣) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٤٢-٤٣.

(٥٤) ينظر: كامل البهائيّ ٢ / ٢٩١ - ٢٩٢.

(٥٥) تساءل محقق الكتاب المؤلف في هذا المورد إن كانوا في هذا الوقت ما يزالون في الطريق فمتى رجعوا إلى كربلاء؟ وحضروا أربعين الحسين في العشرين من صفر فيقول: لست أدري وليت المؤلف أشار إلى اختلاف هذا القول مع أقوال المؤرخين. ينظر: هامش (١)

(٥٦) كامل البهائيّ ٢ / ٣٦٧.

(٥٧) الاحتجاج ٢/ ٣٥، مقتل الحسين/ الخوارزميّ ٢/ ٧٢، بلاغات النساء ٣٥ وما بعدها. وفي هذا المورد لا بد من الاشارة هنا أن عبارة (هتكت ستورهن) كما أراها لا يعني نزع الحجاب والملاحف والمقانع عنهن، وإنما تعني هو مجرد خروجهن من خدورهن وتسييرهن من بلد إلى آخر هو هتك لسترهن، هذا إن صحت نسبة هذه الكلمات إليها عليها السلام وإلا فهو من باب إثارة المشاعر وتهييج العواطف.

(٥٨) ينظر: طريق (موكب السبايا مشاهدُ حسينيّة بين كربلاء

والشّام) تحقيق: أحمد الحسيني، مجلة شعائر السنة الثانية / العدد الحادي والعشرون.

(٥٩) ينظر: تحقيق: مسير السبايا من كربلاء إلى الشام، معارف إسلامية، السنة الثانية عشر، العدد ١٤٠، ١٢ آب ٢٠١٨ الموافق لـ ٣٠ ذو القعدة ١٤٣٩.

(٦٠) كتاب ((رجوع الركب بعد الكرب))، للسيّد محمّد علي القاضي الطباطبائي، بترجمة وتحقيق: محمّد الكاظمي. مجمع البحوث الإسلاميّة/ الروضة الرضويّة المقدّسة يقع الكتاب في ٢٩٧ صفحة من القطع الوزيري.

(٦١) ينظر: تحقيق: مسير السبايا من كربلاء إلى الشام: الدكتور حيدر خير الدين السنة الثانية عشر العدد ١٤٠ معارف إسلامية ١٢ آب ٢٠١٨ الموافق لـ٣٠ ذو القعدة ١٤٣٩.

(٦٢) ينظر: اللؤلؤ والمرجان ١٨٩.

(٦٣) ينظر: الفتوح ٥/ ١٢٧، مقتل الحسين ٢/ ٦٢.

(٦٤) ينظر: وقعة صفّين نصر بن مزاحم المنقريّ ١٣٤، موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب محمّد محمّدي الري شهريّ ٦/ ٥٥. الفصل ٦.

(٦٥) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٤٤-٤٥.

(٦٦) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٤٤.

(٦٧) ينظر: استفتاءات مكتب سماحة السيد محمد صادق الحسيني الروحاني، في ١ صفر ١٤٣٩ قناة الأحكام الشرعية. **https://telegram.me/adelaljohr**.

(٦٨) لكن هذا الأمر بحاجة إلى التحقيق لأنّ الطريق إلى المدينة لا يتقاطع ولا يشترك أبداً مع الطريق إلى العراق، فيجب البحث في الطريق الذي سلكه أهل البيت عليهم السلام في رجوعهم؟ لذا نبين أن علماء الجغرافيا السابقين، مثل ابن خرداذبه (ت٣٠٠ ق) ومثله ابن رسته، ذكروا مجموعة من المنازل وبحسب رأي علماء الجغرافيا الآن لا يوجد أي أثر واسم للمنازل والمناطق المذكورة سابقاً إلا نقطة وحيدة مشتركة بين الطريقين وهي منطقة (المنزل) حيث يفترق من هناك طريق المدينة عن طريق الكوفة.

ومن هنا يمكن القول إنّه حتّى لو نفينا وجود أيّ عزم وقصد لزيارة كربلاء عند أهل البيت عليهم السلام قبل الخروج من دمشق، فمن الممكن أنّ هذا العزم قد حدث في تلك النقطة المشتركة، وعليه فلو حملنا كلام السيّد ابن طاووس وابن نما (الذي سنذكره في المحور الثالث) على اعتبار أنّ الطريقين مشتركان على طول المسير، فهذا لا يمكن القبول به وليس صحيحاً، إلّا أن يقال بأنّ أهل البيت عليهم السلام رجعوا إلى المدينة عن طريق العراق عبر نفس الطريق الذي سلكوه من الكوفة إلى الشام.

وطبعاً هذا الاحتمال يمكن انطباقه على الواقع في حال كان أهل البيت عليهم السلام قد اختاروا هذا المسير وهم عند يزيد في دمشق، مع موافقته على ذلك، أو على الأقل يأخذون الموافقة منه قبل تجاوز النقطة الوحيدة المشتركة بين طريق الكوفة وطريق المدينة، أي منطقة (المنزل). وفي غير هذه الصورة لن يكون منطقيّاً اختيار أهل البيت عليهم السلام طريق العراق إلى المدينة ولن يكون له أيّ مسوّغ. ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٥٠-٥١.

(٦٩) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٣٢-٣٣.

(٧٠) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٣٣-٣٧. وينظر المصادر الآتية: مثير الأحزان ٨٦، اللهوف ١١٤، الإقبال، ٣/ ٣٧٠، الإقبال ٣/ ١٠٠-١٠١، بحار الأنوار ٩٨/ ٣٣٥-٣٣٦، بحار الأنوار ٩٨/ ٣٣٢. وغيرها من المصادر.

(٧١) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٣٣-٣٤، ذكر المحقق أنه ((لم يصرّح أيّ واحدٍ من هذين

العلمين في كلماتهما أبداً عن موضوع مجيء أهل البيت إلى كربلاء، في العشرين من صفر، بل اقتصر كلامهما على حكاية ورود أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء والملاقاة مع جابر فقط، بل إنّ ابن طاووس (ره) نفى صراحة وصول أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء في يوم العشرين من صفر في كتابه (الإقبال بالأعمال الحسنة) والذي استمرّ في تأليفه منذ ما قبل وفاته بتسع سنوات إلى آخر عمره أي إلى العام السبعين من عمره فهو بعد أن ينقل رأي الشيخ المفيد (ره) والشيخ الطوسيّ (ره) والرأي القائل بأنّ يوم الأربعين هو يوم خروج الأسرى من الشام إلى كربلاء.. هناك ينفي صراحةً وصولهم إلى كربلاء في العشرين من صفر، وهذا كلامه: ((وجدت في المصباح أنّ حرم الحسين عليه السلام وصلوا المدينة مع مولانا عليّ بن الحسين عليه السلام يوم العشرين من صفر. وفي غير المصباح أنّهم وصلوا إلى كربلاء أيضاً في عودتهم من الشام يوم العشرين من صفر وكلاهما مستبعدٌ لأنّ عبيد الله بن زياد لعنه الله كتب إلى يزيد يعرّفه ما جرى ويستأذنه في حملهم ولم يحملهم حتّى جاء الجواب إليه وهذا يحتاج إلى نحو عشرين يوماً أو أكثر منها لأنّه لمّا حملهم إلى الشام روي أنّهم قاموا فيها شهراً في موضع لا يكنّهم من حرّ ولا برد، وصورة الحال تقتضي أنّهم تأخّروا أكثر من أربعين يوماً من يوم قتله عليه السلام إلى أن وصلوا إلى العراق أو المدينة.

وأمّا تعريجهم على كربلاء في طريق عودتهم إلى المدينة فيمكن ذلك ولكنّه لا يكون حينئذٍ وصولهم إليها يوم العشرين من صفر لأنّهم اجتمعوا -على ما رُوي - بجابر بن عبد الله الأنصاريّ، فإن كان جابر وصل زائراً من الحجاز فيحتاج وصول الخبر إليه ومجيئه أكثر من أربعين يوماً، وعلى أن يكون جابر وصل من غير الحجاز من الكوفة أو غيرها كما هو ظاهر فإنّ ابن طاووس لم ينف من الأصل مجيء أهل البيت عليهم السلام لا في كتاب اللهوف ولا في كتاب الإقبال، وكذلك فإنّ العبارة الأخيرة للسيّد في الإقبال هي قرينة واضحة على أنّه لم يقل بوصول أهل البيت عليهم السلام في الأربعين إلى كربلاء- كما نسب إليه البعض خطأ- لأنّه لو كان رأيه هو هذا لبيّنه في كتاب (الإقبال) الذي كتبه بعد (اللهوف) بعدّة سنوات، فيقول مثلاً: إنّي قد رجعت عن قولي الذي ورد في كتاب اللهوف، وكلامي النهائيّ في هذه المسألة هو ما أذكره هنا))

(٧٢) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٣٦-٣٨.

(٧٣) الآثار الباقية عن القرون الخالية: البيرونيّ ٣٣١.

(٧٤) توضيح المقاصد ٦.

(٧٥) مثير الأحزان ١٠٧.

(٧٦) اللهوف على قتلى الطفوف ١٩٦.

(٧٧) تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٤٧.

(٧٨) ينظر: الأربعين الحسينيّة: الميرزا محمّد الإشراقيّ (أرباب) ٢٠٥.

(٧٩) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٣٧.

(٨٠) ينظر: تاريخ الأمم والملوك ٤/ ٣٥٣ ٣٥٤.

(٨١) ينظر: الإرشاد ٢/ ٢٢.

(٨٢) ينظر: إعلام الورى بأعلام الهدى ١/ ٤٧٦.

(٨٣) ينظر: مقتل الحسين عليه السلام ٢/ ٨٢.

(٨٤) ينظر: كامل البهائيّ ٢/ ٣٠٢.

(٨٥) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٤٠.

(٨٦) اللؤلؤ والمرجان ٢٣٣.

(٨٧) تاريخ أبي الفداء١/ ٢٩٧.

المصادر والمراجع

١. الآثار الباقية عن القرون الخالية: أبو ريحان البيرونيّ (ت٤٤٠هـ)، طبعة حجرية قديمة (د.ت، د.ط).

٢. الاحتجاج: أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليق: محمّد باقر الخرساني، دار النعمان/ النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م.

٣. أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية: الدكتور عبد اللطيف عامر، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٤. الأربعين الحسينيّة: الميرزا محمّد الإشراقيّ (أرباب)،

٥. الإرشاد: محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام، دار المفيد/ بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٦. إعلام الورى بأعلام الهدى: أمين الإسلام الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من اعلام القرن السادس الهجري، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٧. الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السنة: السيد رضي الدين، علي بن موسى بن طاووس الحلي (٦٦٤ -٥٨٩هـ)، دار الكتب الإسلامية – طهران الطبعة الثانية ١٣٦٧هـ.

٨. الأمالي: الشيخ الصدوق، المكتبة الإسلامية الطبعة الرابعة المصححة ١٤٠٤هـ.

٩. بلاغات النساء: أبو الفضل، أحمد بن أبي طاهر، المعروف بابن طيفور (٢٨٠- ٢٠٤هـ)، دار الشريف الرضي – قم.

١٠. تاريخ أبى الفداء: الملك المؤيد إسماعيل بن أبي الفداء (ت٧٣٢هـ)، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى.

١١. تاريخ الأمم والملوك: محمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق نخبه من العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/ لبنان.

١٢. تحف العقول عن آل الرسول: أبو محمد، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

١٣. تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام محسن رنجبر، أستاذ مساعد في مؤسّسة الإمام الخمينيّ للتعليم والبحوث- قم المقدّسة (بحث منشور).

١٤. تذكرة الخواصّ: تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق: حسن تقي زاده، مجمع أهل بيت عليهم السلام. الطبعة الأُولى ١٤٢٦هـ.

١٥. توضيح المقاصد: العلامة الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي (ت ١٠٣٠هـ)، كتبه: الحاج عبد الرحيم الافشاري ابن المرحوم أبي الفضل الزنجاني ١٣٩٣- ١٣٥٢ مكتبة يعسوب الدين- الإلكترونية.

١٦. كتاب الثقات للإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي (ت٣٥٤هـ) (الجزء الاول) طبع بإعانة وزارة الحكومة العالية الهندية تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

١٧. الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي (ت

٥٧٣هـ)، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، مؤسسه الامام المهدي قم، الطبعة الأُولى ١٤٠٩ هـ.

١٨. الدمعة الساكبة: في أحوال النبيﷺ والعترة الطاهرة، محمّد باقر البهبهاني (ت ١٢٨٥هـ)، مؤسسة الأعلمي- بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠٩ هـ -١٩٨٩م.

١٩. رجال الشيخ الطوسي: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (٤٦٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢٠. السيّرة النبوية: عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت ٢٨٨هـ)، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣ م.

٢١. العباسؑ: عبد الرزاق الموسوي المقرم، تحقيق: سماحة الشيخ محمّد الحسّون، إصدارات مكتبة الروضة العبّاسيّة، سلسلة الكتب المؤلفة في أهل البيتؑ (١٥٠)، إعداد مركز الأبحاث العقائدية.

٢٢. مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة: الشيخ محمد جعفر الطبسي.

٢٣. كامل البهائيّ: عماد الدين الطبري من علماء القرن السابع الهجري، تعريب وتحقيق: محمد شُعاع فاخر، انتشارات المكتبة الحيدرية، الطبعة الأولى، ١٣٨٤-١٤٢٦هـ.

٢٤. الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

٢٥. كتاب الفتوح: العلامة ابن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء/ بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٢٦. لسان العرب: ابن منظور (ت ٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذليدار النشر: دار المعارف البلد: القاهرة

٢٧. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.

٢٨. اللهوف على قتلى الطفوف: السيد علي بن موسى بن طاووس الحلي (ت ٦٦٤هـ)، دار العالم (جهان) للنشر - طهران ١٣٤٨ هـ.

٢٩. اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر: العلامة حسين النوري الطبرسيّ (ت١٣٣٠هـ)، تعريب: الشيخ إبراهيم البدري، دار البلاغة/ بيروت، الطبعة الأولى ٢٤- ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣٠. مثير الأحزان ومنير سبيل الأشجان: جعفر بن أبي إبراهيم، المعروف بابن نما الحلي (ت ٦٤٥هـ)، تحقيق: سماحة الشيخ محمّد الحسّون، مدرسة الإمام المهديؑ الطبعة الثالثة، قم ١٤٠٦ هـ.

٣١. معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ) تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى.

٣٢. مقتل الحسينؑ: الخوارزمي (ت٥٦٨هـ)، تحقيق: العلامة الشيخ محمد السماوي، تصحيح: دار أنوار الهدى.

٣٣. مقتل الحسينؑ: مقتل أبي مخنف للطبري المؤرخ

الشهير لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن مسلم الأزدي الغامدي مستخرج من تاريخ الأمم والملوك، للمؤرخ المحدّث أبي جعفر محمد بن جرير الطبري استخرجه: الحسن بن عبد الحميد الغفاري من منشورات المكتبة العامة، لحضرة العلامة المحقق آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، دام ظله الوارف مع التعاليق الهامة: لحجة الاسلام والمسلمين آية الله الحاج ميرزا حسن الغفاري دامت بركاته، المطبعة العلمية/ قم محرم الحرام ١٣٩٨.

٣٤. الملهوف على قتلى الطفوف المؤلف: رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ) ـ تحقيق: الشيخ فارس تبريزيان «الحسون» إعداد: مركز الأبحاث العقائدية سلسلة الكتب المؤلفة في أهل البيت عليهم السلام.

٣٥. مناقب آل أبي طالب: الإمام الحافظ ابن شهر اشوب المازندراني (ت ٥٨٨هـ) قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته على عدة نسخ خطية لجنة من أساتذة النجف الاشرف، قام بطبعه محمد كاظم الكتبي صاحب المكتبة والمطبعة الحيدرية وله حقوق الطبع محفوظة ١٣٧٦ هـ =١٩٥٦م طبع في المطبعة الحيدرية في النجف.

٣٦. موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب: محمّد محمّدي الري شهريّ، المساعدان: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، مؤسسة دار الحديث العلمية الثقافية، إيران – قم المقدس، الطبعة الثاني ١٤٢٥.

٣٧. وقعة صفّين: نصر بن مزاحم المنقريّ (ت٢١٢هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ.